المجلس الإسلامي العلمائي
Olamaa Islamic council

www.Olamaa.net

الغزو غير الأخلاقيِّ

سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)

إعـداد وتقديم : دائـرة الثقافة والتبليغ
المراجعة اللغويّة: جهاز الكتابة والتأليف

الغزو غير الأخلاقيِّ

سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)

www.Olamaa.net

الفهرس

سلسلة كتاب الجمعة ٤

المقدّمة ٥

تمهيد ٧

الفصل الأوَّل: معالم الغزو غير الأخلاقيِّ

وسائل الغزو غير الأخلاقي ١٢

أولاً: الإعلام المدمِّر ١٢

ثانيًا: اللباس والمظهر الخارجي ١٣

وضع اللباس في البحرين ١٥

ثالثًا: الغِناء والطَّرب ١٦

رابعًا: الخمرة والمجون ١٦

شعارات محاربة ١٨

١. التعددية الثقافية ١٨

٢. شعار الانفتاح والتسامح ٢٠

٣. شعار المصلحة الاقتصادية ٢٠

٤. شعار للفتوى مجالها وللقانون مجاله ٢١

٥. شعار الانفتاح على الآخر ٢٣

٦. شعار الحريَّة وعدم الوصاية ٢٧

٧. شعار الواقعيَّة ٢٩

٨. شعار الدِّيمقراطيَّة ٣٠

الفصل الثَّاني: معًا في المواجهة

أولاً: متطلبات المواجهة ٣٦
تقييم لواقعنا في المواجهة ٣٦
استراتيجية معًا ٣٧
الوعي بواقع المعركة ٣٨
الثقة بالنفس وعدم التبعية العمياء ٣٩
الإرادة ومقاومة العادات السيئة ٤١
المبادرة قبل فوات الأوان ٤٣

ثانيًا: أدوار المواجهة ٤٦
دور العلماء في المواجهة ٤٦
دور الشُعوب في المواجهة ٤٦
دور الأسرة في المواجهة ٤٨

الاستراتيجية الدفاعية ٥٠
أولاً: الفقهاء حصوننا المنيعة ٥٠
ثانيًا: سلاح التفقه في الدين ٥١
ثالثًا: منطلق التَّكليف والمسؤوليَّة الشَّرعيَّة ٥٢

الخلاصة: معًا في مواجهة الغزو غير الأخلاقيِّ ٥٤

هذا الكتيِّب عبارة عن مجموعة خُطب جمعة وكلمات منتقاة لسماحة آية الله الشَّيخ عيسى أحمد قاسم، وهي تُمثِّلُ منبعًا فكريًّا غنيًّا في مختلف المعارف.

وقد ارتأت دائرة الثَّقافة والتَّبليغ بالمجلس الإسلاميِّ العلمائيِّ أنْ تصنِّف تلك الخُطب تصنيفًا موضوعيًّا؛ ليتسنى للجميع الاستفادة منها بصورة ميسَّرة.

وكان الاختيار لخصوص خُطب الجمعة للاعتبارات التَّالية:

أوَّلًا: إنَّها كُتبت بقلم سماحة الشَّيخ، ونتاج القلم له حساباته الخاصَّة في الاعتبار.

ثانيًا: إنَّها خلاصة سنوات طويلة من العلم، والخبرة، والتَّجربة التي قضاها سماحة الشَّيخ بين حوزات العلم والتَّصدِّي لقضايا المجتمع.

- **تنويه**

هذه المواضيع مجموعة من خُطب سماحة آية الله الشَّيخ عيسى أحمد قاسم من الموقع الإلكترونيِّ لمكتب البيان للمراجعات الدِّينيَّة، وقد اخترنا مقتطفات من تلك الخُطب، وأضفنا إليها بعض العناوين الجانبيَّة، مع التَّرتيب الموضوعيِّ لها.

المقدّمة

«إنَّما تحيا الأمم والمجتمعات بقِيَمها وأخلاقها، وبمدى تمسُّكها بثوابت المنهج الإلهيِّ القويم، ومحاسن الأخلاق، ومتى ما انحرفت عن هذا الخطِّ، فقد تردَّت في مهاوي السُّقوط ومستنقعات الرَّذيلة، وانتكست في حركة التَّكامل الإنسانيِّ، ويمثِّل الجانب الأخلاقيُّ والثَّقافيُّ والمعنويُّ عمادًا أساسيًّا؛ لنهضة الأمم والشُّعوب.

وقد اعتمد الاستكبار العالميُّ بأطروحاتِه ونظريَّاتِه الأرضيَّة الماديَّة منهج الاستهداف المبرمج لفكر وأخلاق وقِيم الأمم عامَّة، والأمَّة الإسلاميَّة خاصَّة، ولا شكَّ أنَّ ضعف الأمم فكريًّا، وانحدارها أخلاقيًّا أوَّل الطَّريق لسقوطها سياسيًّا واجتماعيًّا، وانهيارها حضاريًّا؛ لتكون لقمة سائغة بيد أعدائها».

من هذا الوعي كانت فكرة المجلس الإسلاميّ العلمائيّ على تركيز العمل لهذا العام١٤٣١هـ عبر شعار (معًا في مواجهة الغزو غير الأخلاقيّ).

• الغزو حقيقة!

(الغزو) ليس حديثًا يُفترى، بل هو واقعٌ بات الجميع يتلمَّسه، ويستشعر خطره، فلم يبقَ أحدٌ في مأمن من نفوذ الفساد الخُلقيِّ إلى بيته ومجتمعه بعد وسائل الاتِّصال المسخَّرة في أيدي أعداء الإسلام والإنسانيَّة، من شياطين الرَّذيلة والبغاء والعنف والإجرام والطَّاغوتيَّة، وغيرها من صنوف التَّحلُّل من المبادئ والقِيم الخُلقيَّة، فبات الأب والأمُّ وجميع المربِّين في حَيرة أمام هذا الهجوم الذي لم يسبق له نظير في تاريخ الصِّراع بين الفضيلة والرَّذيلة، فرغم المبادرات الواعية والجادة للاستفادة الخيِّرة من المواقع الالكترونيَّة، والقنوات الفضائيَّة، وغيرها من الوسائل الحديثة؛ لتوفير البديل الصَّالح، والنّتاج النَّظيف، إلاَّ أنَّه لا مقارنة - من حيث الكمِّ والعرض - بين جبهة الخير وجبهة الشَّرِّ على هذا المحور الذي أصبح من أعمق المحاور الاستراتيجيَّة، لذلك فإنَّ الأعمال الفرديَّة المتفرِّقة، بل حتى العمل المؤسَّساتيّ المُنظَّم لا يمكن أنْ يصمُد بمفرده في هذه الحرب المفتوحة، ولا نَصْرَ، ولا نجاح في هذه المواجهة إلاَّ بأنْ نكون **معًا**.

• الرُّؤية

«إنَّنا قادرون على مواجهة هذا الغزو المدمِّر متى ما توفَّرت الرُّؤية الواضحة، والبرنامج الشَّامل المتكامل، والإرادة القويَّة والعزيمة الصُّلبة، ومتى ما تحرَّكْنا جميعًا كخطٍّ واحد

منسجم متعاون، يعمل فيه الجميع - من خلال برامج متنوِّعة، منسجمة، هادفة - على تثبيت وتنمية عوامل التَّحصين والحماية داخل الأمَّة، ويعالج مختلف قضايا الانحراف والفساد في مهدها؛ حتى لا تتضخَّم وتكبر، ويعمل على استئصال أسبابها وحواضنها، ومن خلال تحريك حسِّ المسؤوليَّة الشَّرعيَّة والوطنيَّة والإنسانيَّة، والتَّنبيه على خطورة الوضع بالمستوى الذي يقتضي تفكيرًا جادًّا وتحرُّكًا شاملاً، ودفاعًا عن هُويَّة الأمَّة وشرفها وكرامتها، وتحصينًا لواقعها من عوامل الانحراف، وحمايته من وباء الرَّذيلة وآثارها المدمِّرة».

• أهداف الشِّعار

١- تثبيت وتنمية عوامل التَّحصين والحماية داخل الأمَّة، والعمل المشترك؛ لبناء الأمَّة المحصَّنة عقائديًّا، وفكريًّا وروحيًّا، وأخلاقيًّا، وسلوكيًّا.

٢- التَّوعية وتسليط الضَّوء على الاستهداف الممنهج للواقع الأخلاقيِّ للأمَّة الإسلاميَّة عمومًا، وبلدنا البحرين الغالية خصوصًا.

٣- تحفيز عوامل الحذر واليقظة، والتَّنبيه إلى الخطر الكبير الذي يحدق بهذا الواقع، وضرورة تداركه قبل استفحاله.

٤- تحريك حسِّ المسؤوليَّة الشَّرعيَّة والوطنيَّة والإنسانيَّة باتِّجاه مواجهة الانحدار غير الأخلاقيِّ.

٥- إيصال رسالة واضحة لكافَّة المعنيِّين بوجوب أنْ يكون لهم دور واضح مسؤول في مواجهة هذا الغزو غير الأخلاقي، وبضرورة التَّكاتف أمام هذا الدَّاء العِضال.

• معًا إلى المواجهة

«وهنا يتوجَّه المجلس الإسلاميُّ العلمائيُّ إلى كافَّة المؤسَّسات المعنيَّة في المجتمع، وإلى جميع الشَّخصيَّات المهتمَّة، وإلى عموم المؤمنين بالدَّعوة إلى التَّكاتف، والتَّآزر؛ لحمل مسؤوليَّة هذا الشِّعار عبر البرامج النَّوعيَّة والفعَّالة؛ لنتحمَّل جميعًا مسؤوليَّة النُّهوض بواقع الأمَّة إلى ما يحقِّق مرضاة الله سبحانه وتعالى».[1]

دائرة الثَّقافة والتَّبليغ

---

١. النصوص الواردة في المقدّمة مقتبسة من البيان الصَّادر من المجلس الإسلاميّ العلمائيّ ٢٤ ذو القعدة ١٤٣٠هـ - الموافق ٢٠٠٩/١١/١٣م.

تمهيد

الثَّقافة في المفهوم الإسلاميِّ

أيُّها الإخوة في الله تعالى، تواجهنا كلمة الثَّقافة كثيرًا في أيَّامنا ولياليا، تحملها لنا الإذاعات، وكلُّ قنوات البثِّ والصَّحافة، ونسمعها في المجالس الخاصَّة والمجالس العامَّة، والنَّدوات.

• معنى الثقافة

أنا لا أريد أنْ أكون غريبًا في مصطلحاتي.

دعونا نبحث في معنى الثَّقافة في اللُّغة العربيَّة، ثَقف الرُّمح: معناه قوَّمه وعدله، الرُّمح يميل، يعرضه الاعوجاج، عمليَّة تقويمه وتعديله وتسويته حتى يأتي مستقيمًا، يأتي صائبًا، هذه العمليَّة تُسمى عمليَّة تثقيف.

فعمليَّة التَّثقيف تكون بتقويمه وتعديله وتسويته، والعقول قد يعرضها الزَّلل، والنُّفوس قد يطرأ عليها الهوى فتنحرف، والضَّمائر قد تغبرُّ ويتكدَّر صفو جوِّها، الذَّات الإنسانيَّة في كلِّ أبعادها وهي في الأصل نقيَّة طاهرة قد تتلوَّث، قد تخفت قوى الخير في النَّفس، وقد تذبل، وقد تقارب الموت وهي في كلِّ مرحلة من هذه المراحل تحتاج إلى العودة بها إلى الصَّواب، تحتاج إلى التَّعديل، رؤانا تزيغ، أنظارنا تخطِئ، مشاعرنا تتلوَّث، ذواتنا تتكدَّر، ثم نجد أنفسنا لا ننهض بخير، ولا نتحمَّل درب الخير وتبعاته ومسؤوليَّاته، نجد أنفسنا من بعد حين أنَّها أميل لطرائق الكفر من طرائق الإيمان، وأنَّها أميل إلى طروحات الكفر من طروحات الإيمان، وأنَّها أميل إلى خُلق الكفر والوضاعة من خُلق الإيمان والرِّفعة، ومردُّ هذا كلّه هو انحراف أصاب النَّفس، زيغ طرأ على العقل، تلوُّثٌ كدَّر صفوَ الجوِّ بذات الإنسان، فهنا الذَّات تحتاج إلى تقويم.

• تقويم الذات حاجةٌ لجميع البشر

والذَّات دائمًا وبما هي ذات بشريَّة - مهما بلغت من درجة السُّمو، ومهما كان لها من صواب النَّظر، ومهما كانت على الجادَّة، ووجدت نفسها صبورة على هذه الطَّريق إلاّ أنَّها وبما أنَّها نفس بشريَّة محدودة - تحتاج إلى متابعة في المراقبة، في المحاسبة، في التَّقويم خاصَّة النُّفوس غير المعصومة لا شكَّ أنَّها تحتاج إلى تقويم، تحتاج إلى ترشيد، تحتاج إلى الاهتمام، تحتاج إلى المراقبة، تحتاج إلى المحاسبة.

المعصوم عليه السلام - كما سبق - أمامه مسافات فوق مستوى العصمة، وهو يقود نفسه الشَّريفة

على ذلك الطَّريق، وعلى ذلك المعراج الذي لا ينتهي مداه؛ الله (عزّ وجل)، وكمال الله تعالى لا يدرك - يُطلَب، ويُربّي، ويهدِي، وينعكِس على الذَّات منه ما تستطيع، لكنَّه لا يُدرَك -، أمَّا ذاوتنا غير المعصومة - التي كثيرًا ما يصيبها التَّلوُّث، يصيبها الجحود، يصيبها الزَّيغ في النَّظر، يصيبها تأثير الإعلام الضَّال المضلِّل، ضمائرنا التي تكدِّرها الشَّهوات، قلوبنا التي تغبرُّ مرآتها - تحتاج إلى جلاء.

• ما الثَّقافة؟

الثَّقافة فكرة، خاطرة، موقف، مرأى، عرض، صورة، كلمة تقرأها، كلمة تسمعها، معاشرة تعيشها، أي ممارسة من الممارسات، وضع اجتماعيٌّ، وضع اقتصاديٌّ، وضع نفسيٌّ، وضع سياسيٌّ، كلُّ ذلك ممَّا يدخل بالتَّأثير.

ممَّا يدخل بالتَّأثير على الذَّات إمَّا بالتَّقويم، أو بالحرف كلُّ هذا يعني في مفهوم اليوم ثقافة، أمَّا الصَّحيح من معنى الثَّقافة، وممَّا يتناسب مع هذه المادَّة في اللُّغة العربيَّة، وما أعطيت من معنى في هذه اللُّغة هو أنَّ الثَّقافة خصوص ما يقوِّم دون ما يهدم، خصوص ما يعيد النَّفس إلى الطَّريق الصَّحيح، خصوص ما يقدِّم رؤية صائبة، ما يجعل عقلي في حضور وفاعليَّة، ما يجعل ضميري حيًّا، ما يجعل قلبي صافيًا، ما يجعل نيَّتي سليمة، ما يجعل قلبي محبًّا للغير، ومحبًّا للخير للغير، ما يجعلني أسعى بالخير.

مقوِّم العقل، مقوِّم الضَّمير، مقوِّم الإرادة، مقوِّم الشُّعور، مقوِّم الوجدان، مقوِّم السُّلوك هو الثَّقافة سواء كان فكرًا أو كان موقفًا عمليًّا، كانت صورة، كان علمًا، كان أيَّ شيء.

• ثم أين ما يقوِّم الذَّات الإنسانيَّة؟

الله (عزّ وجل) خاطب نبيَّه الكريم ﷺ، أو عناه بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ❖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ❖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[٢].

النَّفس الأطهر، النَّفس الأزكى، العقل الأكبر، الضَّمير الأطهر، الذَّات الأسمى من بين النَّاس، لم يوكل إليها أمر هداية النَّاس بالأصل، لا بدَّ أنْ نتلقَّى الهدى من الله تعالى، لا بدَّ أنْ نتلقَّى الوحي من الله سبحانه، من بعد رسول الله ﷺ، من بعد هديه، من بعد عقله الكبير، من بعد ضميره الطَّاهر، من بعد قلبه الزَّكيِّ، من بعد ذاته المتألِّقة التي لم يعطها الله سبحانه

---

٢. الحاقة: ٤٤- ٤٦.

وتعالى حـقَّ التَّشريع بالأصل، يعطي حقَّ التَّشريع بالأصل، حـقَّ الأطروحة، أطروحة الحياة بكاملهـا، تقديم الرُّؤية الكونيَّة، صياغة النَّفس البشريَّة يُعطي هذا الحقَّ لكافر؟! نعطيه لمن نسـي نفسه وربَّـه؟! نعطيه لِمَن لا يدرك من نفسه إلا كتلة اللَّحم والدَّم والعصب ؟!، ولا ينظر لنفسه إلا مجموعة شهوات؟!

أعطـي إذاعـات الغرب، أعطي إذاعـات الشَّرق، والإذاعـات التَّابعة، وقنـوات البثِّ في كلِّ مكان، تلك القنوات التي تستقي من منبع واحد قذر جائف هو منبع الحضارة الماديَّة، أعطي حـقَّ التَّشريع، وحقَّ الصِّياغة لولدي، ولبيتـي، ولنفسي، ولأمَّتي، هذه القنوات من أين تتلقى الثَّقافة؟!

الثَّقافـة التي تقـوِّم، الثَّقافة التي تصنع الإنسـان إنسانًا، وترتقي بالإنسـان إلى حدِّ الملك، وتؤهِّـل الإنسـان إلى أنْ يعيش حيـاة الأبد مستقيمًا لا يعـرف الرَّذيلة، التَّربيـة التي ترتقي بالإنسـان إلى حدِّ أنَّه يبغض الرَّذيلة بكلِّ صوَرها وأشكالها، تصنع الإنسان الذي يرتقي إلى خُلق النَّبيِّين، إلى خُلق المرسلين، الإنسان المؤهَّل لأن يجالس رسول الله ﷺ، فلا تقع عين رسـول الله ﷺ منـه على أمر مسيء، ولا تقع عين الله (عزّ وجل) الرَّقيبة على شيء منه لا يرضاه، هذا الإنسان أيُّ مدرسة تخرِّجه؟
أيُّ تربية تخرِّجه؟
أي ثقافة تصنعه؟

ليسـت هـي إلا الثَّقافة المتلقَّاة من الله سبحانه وتعالى، الله العليم بكلِّ دقيقة في ذاتك، بكلِّ مـا تختلج بـه نفسك، بكلِّ منعطف من منعطفاتها، بكلِّ تشابكاتهـا، بكلِّ تداخلاتها، بكلِّ ما تشتمل عليه تشابكاتها وتلاقياتها وتوافياتها.

الله العليـم الخبـير بـك، وبأخيـك، وبكلِّ بشـر، وبكلِّ شيء في هـذا الكون وأنـت لو فتحت عينيك لوجدت أنَّ ذاتك ترتبط بملايين من العلاقات، ملايين من العلاقات تربطك بالغير، بالأرض والسَّماء، وبما في الأرض والسَّماء.

هـذه ملايـين العلاقـات، وبلايين العلاقـات والتـي تدخل في وزنـك، وفي تقديـرك، وفيما يصلحـك، وفيمـا يفسدك، مَن يعلمهـا إلَّا الله؟ وأيُّ مشرِّع يستطيـع أنْ يستحضرها لحظة تشريعـه بكاملهـا؟!، المُشرِّع الذي يستطيع أنْ يستحضر بلايـين العلاقات التي تربط الذَّات الإنسانيَّة الواحدة في ماضيها، في حاضرها، في مستقبلها؛ ليشرِّع لهذا الإنسان مَن هو؟

عقليَّة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يُوكل إليها أمر التَّشريع بصورة مطلقة، ولو علم الله (عزّ وجل) أنَّ رسولـه صلى الله عليه وآله بذاتـه المقدَّسة قادر أصـلاً على وضع التَّشريع الكامـل للإنسان، لأرسله، وأوكل لـه مهمَّـة وضـع التَّشريع من غـير وحي آخر، لكنَّـه قال له: ﴿وَلَـوْ تَقَـوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ❖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ❖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ الحاقة: ٤٤-٤٦.

نعـم يأتـي من رسـول الله صلى الله عليه وآله التَّوجيه، وقد يأتي الحكم – أيضًـا – في مورد من الموارد لكنَّـه بهـدى مـن ربِّه سبحانه وتعـالى، مرَّة ينزل عليـه جبرئيل عليه السلام، ومـرَّة لا ينزل عليه جبرئيل عليه السلام ولكنَّ كلَّه وحي يتلقَّاه صلى الله عليه وآله من عند ربِّه، ولا ينسب شيئًا ممَّا جاء به صلى الله عليه وآله إلى ذاته.

مـا يلزمنا جميعًـا أنْ نؤكِّد عليـه بالنِّسبة لأنفسنـا، وبالنسبة لأهلينـا، وبالنِّسبة لمجتمعنا، وبالنسبـة لأمَّتنا، وبالنِّسبة للعالم هو هذا الأمر، يعنـي أنْ يكون مردُّ أمر هذا الإنسان، مردُّ أمـر تشريعـه، ومردُّ أمر توجيهه، ومـردُّ أمر تربيته، ومردُّ أمر قيادتـه لله سبحانه وتعالى، وذلـك بـأنْ يتلقَّى الهُـدى منه عن طريـق رسوله الأكـرم صلى الله عليه وآله، وميراث الوحـي الذي لم يـورِّث رسـول الله صلى الله عليه وآله أحدًا من هذه الأمَّة – مهما كان – مثلما ورَّثه أهل بيته المعصومين عليهم السلام فعندهـم هدى الله تعالى، وعندهم كلمة الله سبحانه، عندهم منهج الله (عزّ وجل)، عندهم شرع الله تعالى، عندهم الأطروحة المنقِذة، عندهم النِّظام الذي يبحث عنه العالم، ويشرّق ويغرّب هنا وهناك، ويجمع فلاسفته ومفكِّريه، فلا يجد عندهم النِّظام الذي لو طُبِّق لأسعد البشر دنيًا وآخرة.

فـإلى هذا الهدى، وإلى هذه المدرسة، ولنعطِ عمرنا كلَّه لهذه المدرسة ولاءً وإخلاصًا وجهادًا وتوعيةً وبثًّا ونشرًا، والحمد لله ربِّ العالمين.[٣]

٣. خطبة الجمعة (٧) بتاريخ ٢٤ صفر ١٤٢٢ هـ، الموافق ١٨-٥-٢٠٠١ م.

الفصل الأوَّل

معالم الغزو غير الأخلاقيِّ

الفصل الأوَّل

معالم الغزو غير الأخلاقيِّ

وسائل الغزو غير الأخلاقي

أوَّلاً: الإعلام المدمِّر

أمَّا بعد أيُّها المؤمنون والمؤمنات...، فإنَّ اللُّغة الإعلاميَّة، وفنّها السَّاحر يقومان في المؤسَّسات الإعلاميَّة غير الملتزمة على الاستهواء النَّفسيِّ والمغالطات الفكريَّة، وطريقة المصادرة باتِّخاذ ما هو مطلوب ومحلّ البحث، قضيَّة مفروغ عنها، ومقدّمة من مقدّمات الدَّليل، وبذلك يجرُّ الإدمان على القراءة، والإصغاء للمادَّة الإعلاميَّة من هذا النَّوع من غير فكر ناقد إلى التَّسطُّح الفكريِّ، والوقوع في قناعات خاطئة تفتقد الأساس العلميَّ الكافي لنشوئها.

ولا طريق لحماية الفِكر من هذه النَّتائج المتردِّية إلاّ بالتَّزود بطريقة التَّفكير العلميِّ المنطقيِّ، وممارسة القراءات ذات الطَّابع الموضوعيِّ، والدِّراسات التي تعتمد التَّمحيص والتَّدقيق لما تتعرَّض له من أفكار وآراء.

فما أحوجنا إلى تربية العقليَّة العلميَّة التي تعتمد المنهج العلميَّ الصَّارم في التَّفكير.

وأنت إذا دقَّقت صفحة واحدة من كثير ممَّا تكتبه الصَّحافة، وتبثه الإذاعات خاصَّة فيما يتعلَّق بالشَّأن السياسيِّ، وما يتَّصل به، وما يراد تكوينه من قناعات للرَّأي العامِّ وجدت تلاعبًا بأفكار النَّاس ومشاعرهم، وبعدًا فاحشًا عن الحقيقة، واعتمادًا على رمي الآخرين بنعوت تبرعيَّة ظالمة تقزِّم هذا، وتسقط ذاك، وتثير النَّقمة ضدَّ ثالث، وتعزل رابعًا، وهكذا.

ويقع الظُّلم الفاحش على الفئة الاجتماعيَّة التي تحرم من الدِّفاع عن نفسها، وردِّ أقاويل الزُّور والتُّهم الرَّخيصة التي توجَّه ضدَّها، وهذا اللَّون من المحاصرة والحرمان هو واحد من ألوان الظُّلم الاجتماعيِّ والسياسيِّ والاقتصاديِّ التي قد تمارس ضدَّ هذه الفئة أو تلك حتى تتمَّ عمليَّة التَّصفية المعنويَّة لها في غلس اللَّيل مع خنق لا يسمح بانطلاق صوت للمستغيث.

ومن المفارقات الغريبة أنَّ الذين يمتلكون مصادر البثِّ وقنوات النَّشر المختلفة، ويحتكرونها ويشدِّدون القبضة الحديديَّة عليها، ويطاردون الكلمة الإسلاميَّة في المسجد، وفي كلِّ زاوية من زوايا المجتمع يرمون الإسلاميِّين بمصادرة الفكر، والإرهاب الفكريِّ، والحَجْر على الكلمة، وخنق حريَّة الرَّأي.

ومن المفارقات الأخرى الفاضحة أنَّك تجد عند هؤلاء قائمة طويلة من الشَّتائم للإسلاميِّين التي تقذفهم بالرَّجعيَّة، والتَّخلُّف والتَّحجُّر والتَّقوقع وضيق الأفق ومعاداة الحَدَاثة والانغلاق

الفكـريِّ والهروب مـن الواقع، وهم أنفسهم الذين يثيرون زوبعة مـن الاستنكار والاستبشاع عندما يتحـدَّث الإسلاميُّون عن التَّقوى والفجور، وعن الإيمان والكفر والفسوق، وعن طاعة اللّه سبحانـه ومعصيتـه، وعـن الجنَّة والنَّـار، وعن العِفَّـة والتَّسيُّب، وعـن الحجاب وتبرُّج الجاهليَّة الأولى.

فأمـام الطَّرح لهـذه التَّقسيمات المستقـاة من الكتـاب والسنَّة يرتفع الصُّـراخ منهم بأنَّكم توزعـون صكوك الغفـران وبطاقات المرور إلى الجنَّة، وتعلنون قائمة أهل النَّار، على أنَّ لهذه التَّقسيمـات القرآنيَّة تحديداتهـا الدَّقيقة، ووسائلها الإثباتيَّـة المنضبطة التي لا يبيح مسلم بحـقٍّ لنفسـه أنْ يتعدَّاها، وقائمة الآخريـن منها ما يشتم به وهو مفخـرة في نفسه، والشَّتم بـه؛ لإسقـاط قِيمته وتشويهه، ومن ذلـك الرَّجعيَّة وهي تعني عندهم الرُّجـوع إلى الأصالة، ومرجعيَّة كتاب اللّه تعالى وسنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لحركة الفكر والشُّعور والحياة، ومثل الرَّجعية في ذلـك معـاداة الحَدَاثـة التي يريدون بهـا معاداة الأفـكار المناهضة للإسـلام، ومجانبة التَّحلُّل، ومقاومة الغزو الثَّقافيِّ.

أمَّا الحديث بما ينفع النَّاس، وما يلتقي مع سلامة الفكر والدِّين، ولا يثلم من المروءة والخُلق الفاضـل، فهم يعرفـون جيِّدًا أنَّ الإسلاميِّـين يطلبونه ولا يعادونه. ويُشهِّـر بك بأنَّك تعادي الحَدَاثـة؛ من أجل إغرائك بالوقوع في الحَدَاثة السَّاقطـة والتَّبعيَّة الذَّليلة، والمستنقع القَذِر الذي يخطِّط للمجتمع الإسلامي أنْ يقع فيه.[٤]

ثانيًا: اللِّباس والمظهر الخارجيّ

لباسك عنوان لشخصيَّتك.

لباس النَّاس متعدِّد، له ألوان، أشكال، وهو على أزياء مختلفة.

المهـمُّ ليس هذا، ولكن يُطرح هنـا سؤال: أترى أنَّ اختلاف اللِّباس عند النَّاس يقف عند حدِّ المظهر، أو هو تعبير عن شيء آخر؟

وراء اختـلاف اللِّبـاس مظهرًا اختلافٌ مخبر، اختلافٌ بيئيٌّ، قومـيٌّ، دينيٌّ، ذوقيٌّ، مستوى نفسـيٌّ، وقارُ نفسٍ، أو خفَّةُ نفس، ميلٌ للصبيانيَّة، أو تعلُّقٌ بالرُّجولة، ميلُ الذُّكورة للأنثى، أو ميـلُ الأنوثة للذَّكر، التزامٌ، ابتذالٌ، تخلٌّ عن الضَّوابط، تمسُّكٌ بالضَّوابط، عنايةٌ، أو بعثرةٌ، تكلُّف أو اعتدالٌ، أمورٌ أخرى.

اللِّباس لغة عمليَّة عن مكوِّنات معنويَّة للشَّخصيَّة، وعنوان خارجيٌّ على نوع الدَّاخل.

---

٤. خطبة الجمعة (٦٠) ١٢ ربيع الأول ١٤٢٣هـ - الموافق ٢٥-٥-٢٠٠٢م.

لباسك يتحدَّث عنك، ولباس كلِّ شخص لغة تنقل شيئًا من داخل الرَّجل، أو المرأة للآخرين. مَـن يريد الالتحاق بوظيفة، أو جامعة، وخاصَّة بالنِّسبة للمراكز العالية تُطلب مقابلته، ومن بـين ما تدرسه المقابلة هندامه، للتَّعرُّف على شيء من مكوِّنات شخصيَّته، وهذا المركز يهتمُّ بربطـة العُنـق، وأنْ يكون الهندام موافقًا للذَّوق الغربـيِّ، ومؤسَّسة أخرى تلاحظ غير ذلك، وتريـد منك ذوقًـا إسلاميًّا، واحترامًا لهويَّتك الإيمانيَّة، وأنْ تدلَّ بلباسك على ذوق من ذوق الرُّجولـة، لا الصِّبيانيَّـة، وما كان حسنًـا هنا من الزَّيِّ يكون قبيحًا هنـاك وبالعكس، ونحن مسلمـون، والإسـلام له بصماتـه الخاصَّة في حياة المسلـم وشؤونه، وحتـى في مثل موضوع اللِّباس.

اليابـاني يلاحظ كلَّ مكوِّنات بيئته وذوقها ويأتي لباســه من وحي ثقافته، وقوميَّته، وتربيته، ومكوِّنات بيئته.
كلُّ قوميَّـة، وكلُّ أهل دين ينعكس دينهم، وتنعكس قوميَّتهم، وتنعكس مقوِّمات بيئتهم على ما يرضون من لباس وما لا يرضون.
المسلم كيف؟، أليس له هويَّة خاصَّة؟
والإسلام له اهتمام بالزَّيِّ، أو ليس له اهتمام؟
الإسلام له اهتمامه بهذا الموضوع، وللِّباس الإسلاميِّ طابعه الخاصّ، والإسلام حريص على الوقـار، وحريص على تأصيل الشُّعـور بالرُّجولة في نفس الرَّجل، وتأصيل الشُّعور بالأنوثة في نفس الأنثى، وله حكمة في اختيار ما للرَّجل من لباس، وما للمرأة.
المسألـة ليست مسألة سطحيَّة مفصولة عن وحي الفكرة، وعـن الطَّابع الخُلقيِّ، وعن درجة الوقار والالتزام.

قارنـوا بين مسجدين: مسجـد المصلُّون فيه بعشرات الألوف، وكلُّهـم من لباس قصير بقدر مـا يستر العورة، ومنطقة الصَّـدر والظَّهر يغطيها لباس خفيف، والنِّســاء لباسهنَّ وإنْ كان ساترًا، ولكن يميل بلغته الخاصَّة إلى ما يكشف عن نفس تريد أنْ تغري الآخر.
ومسجـد آخـر المصلُّون فيه عشـرات الآلاف، وكلُّهم يلبسون ما نسميـه بـ(الغترة) والثِّياب والعباءة.
قارنوا بين هذين المسجدين، هل اللُّغة التي يتحدَّث بها أهل المسجد الأول من خلال زيِّهم هي نفس اللُّغة التي يتحدَّث بها أهل المسجد الثَّاني؟

لا يتوقَّف أحدكم - فيما أرى - في أنْ يقول بالفرق بين الجماعتين.
إمـــام جماعـة يصلِّي بنصف سروال، وبغطاء رأس غربيٍّ، وإمـام جماعة يتزيَّا بزيِّ رسول الله ﷺ هل ترون فرقًا أم لا ترون؟
وهذا ليس في الصَّلاة والمسجد فحسب، وإنَّما اتَّخذت من المسجد والصَّلاة مثالاً لا غير.
واللِّباس باب من أبواب الغزو الثَّقافيِّ الهادئ غير المثير.
إنَّه غزو بلا ضجيج، ولا يثير حفيظة الآخر، ولا يقابل في أوساط الكثيرين بالمقاومة.
غزو السَّيف يوتِّر أعصاب المقابل، ويستثيره، ويجعله على أكبر جهوزيَّة ممكنة، أمَّا مثل هذا الغزو فهو غزو يتسلَّل إلى أوساط أيِّ أمَّة؛ ليغيِّرها وبصورة لا كُلفة فيها.
هنـاك أحكام للِّباس في الإسلام بصورة عامَّة، وفي خصوص الصَّـلاة، وكلُّنا نعرف حرمة الحرير بالنِّسبة للرَّجل، وأنَّه لا يجوز لبسه إلا عند الضَّرورة الشَّديدة كالبرد الشَّديد[٥].[٦]

• وضع اللِّباس في البحرين

يعاني لباس الحشمة من حالة انحسار في كلِّ أنحاء البحرين، وفي الأوساط المحافظة، ولهذا دلالاته السَّلبيَّة، وآثاره السيِّئة، هذا أمر.
وأمـر آخر هو دخول ظاهرة التَّمشِّي في طرقات القرى وأحيائها من قبل أجنبيَّات لا يستُرنَ شعرًا، ولا سُوقًا، ولا أعالي ولا أسافل في فتنة مثيرة، وعرض جسديٍّ بالغ الإغراء.
والظَّاهرة تأخذ في تثبُّت، وتركُّز، وانتشار.
يحـدث هـذا بسوء قصد، وهـدف تخريبـيٍّ، أو تمشّيًا مع الـذَّوق المجافي للإسـلام والرَّأي المتحـرِّر مـن ضوابطه من غير أنْ يؤثِّر ذلك الفارق على طبيعـة النَّتائج المرعبة المخيفه لمثل هذا السُّلوك.
يغـذي الظَّاهـرة، تيسّـر الشّقق المؤجَّـرة، ورغبة الرُّبح المـادِّي، والجوّ العـام التَّحلُّلي الذي تثـيره سياسة السّياحة الحرَّة، والاستيرادُ التِّجـاري لعناصر الفتنة الجنسيَّة، وما يجري في الجامعـات، والمدارس، والأسواق، والوزارات، وفي كلِّ مرافق الحياة العامَّة من تحضير قائم على قدم وساق لحياة اجتماعيَّة تتنكّر للإسلام، وأخلاقيَّاته وقِيَمه.

---

٥. لا تجد عند الفقهاء أحكامًا بالكراهة، أو الحرمة، أو الاحتياط في موارد متعدّدة من موارد اللِّباس بصورة عامَّة، أو في الصَّلاة منها: لباس الشُّهرة، والتَّشبُّه من الرَّجل بالمرأة، وبالعكس، الاتِّزار فوق القميص، الألبسة المختصَّة بالكفار وأعداء الدِّين، ما يوجب التَّكبر والخيلاء، لبس الشَّيخ ملابس الشَّباب. (تعليق من سماحة الشيخ)
٦. خطبة الجمعة (٣٧١) ٤ جمادي الثاني ١٤٣٠هـ - ٢٩ مايو ٢٠٠٩م.

ويُعـدُّ الموقف السَّلبيُّ السُّكوتيُّ عامـلاً مهمًّا في فتح الطَّريق لهذه الظاهرة المتهتِّكة المتحدِّية، ويعطـي إشـارة ضوئيَّة خضراء للعبور الحرِّ لقاطرة الموبِقـات في جنبات المجتمع، وتخلُّل كلّ أوساطه.[٧]

ثالثًا: الغِناء والطَّرب

اعرفوا كيف تغزون، وكيف تسقطون؟

القضيَّـة هي تقوية البثِّ الإذاعيِّ والتَّلفزيونيِّ الأمريكيِّ الموجَّه إلى الدُّول العربيَّة الإسلاميَّة تحسينًا لصورة أمريكا، ومكافحة للشُّعور المعاديّ لها.

والمبلغ المخصَّص؛ لتقوية البثِّ للعام ٢٠٠٣م الذي يبدأ من أكتوبر عبر إذاعة (سوا) الجديدة هو ١٣٥ مليون دولار، والبثُّ على مـدار السَّاعة - هـنـا مربط (الفرس) كما يقولون - لِأغاني وموسيقـى موجَّهة إلى الشَّباب من سنِّ ١٥- ٢٥، ويتخلَّـل ذلك نشرات (أخباريَّة قصيرة)، والغرض هو الأغاني والموسيقى المطربة التي تعبث بمشاعر الشَّباب والشَّابات.

التَّركيـز على سنِّ مـا قبل تركُّز الوعي والشُّعور بالانتماء الحضـاريِّ، واكتشاف قيمة الذَّات وقيمة الوقت، والمطلوب هشاشة الشَّاب المسلم والشَّابة المسلمة وتميُّعهما، والهروب بوعيهما وشعورهما من منطقة الواقع إلى منطقة الخيال المُفسد.

وهذه واحدة من وسائل لا حصر لها لما يسمى بالغزو الثَّقافي المنظَّم.

من هنا نُؤتى، من هنا نُؤتى، ومن هنا نسقط، ومن هنا نُغلَب، ومن هنا نتنكَّر لهويَّتنا وثقافتنا، ومن هنا نفترق عـن خطِّ تاريخنا وحضارتنا ورسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وأئمَّتنا الهداة عليهم السلام، ومن هنا نستسلم من داخلنا لخطِّ الأعداء الحضاريين في كلِّ مكان.[٨]

رابعًا: الخمرة والمجون

أيجتمـع إصـلاح وخمر ومجـون فاحش وعُهر؟!!، وهـل إذا اجتمع ذلك كلّـه في عُرف بعض النّاس يجتمع كذلك في دين الله تعالى ومنهجه وشريعته؟!!

وهـل يتحقّق إصلاح للأرض، ولأوضاع الإنسـان في الخارج في ظلّ استهداف مخطّط وجادّ؛ لإفسـاد الإنسـان نفسه، عقله، روحه، إرادتـه، أهدافه، دوره ووظيفته في هـذه الحياة؟!، أو

٧. خطبة الجمعة (٤٠٦) ٢٢ جمادى الأولى١٤٣١هـ - ٧ مايو ٢٠١٠م.

٨. خطبة الجمعة (٦٩) بتاريخ ١٥ جمادي الأولى١٤٢٣ هـ - الموافق ٢٦يوليو ٢٠٠٢م.

أنّ إشاعة الخمر والمجون الفاحش، والتَّفسخ الخلقيّ، والتَّميّع، واللّهو الذي نهى الله عنه، والعهر الذي حرّم هو الطَّريق الموصل لإصلاح الإنسان، ورقي عقله، وطهر نفسه، وسموّ روحه، وقوّة إرادته، ورفعة أخلاقه، وزيادة إنتاجه وجودته، وصحَّة سلوكه، وإخلاص تعامله؛ لتصلح على يده الأرض، وتتقدّم الأوضاع، ويكون له السبق والعظمة والمجد؟! «ما هكذا تورد يا سعد الإبل».

حفلات الرَّقص السَّاقطة الفاجرة، وحفلات الغناء المتهتِّكة المائعة، وجمع النِّساء والرِّجال في أجواء لاهبة مثيرة للجنس، واستيراد سافلة بعد سافلة، وساقط بعد ساقط؛ لتسميم الأجواء الأخلاقيّة لهذا البلد الكريم، إفساد يا قوم للإنسان والأرض والأوضاع لا إصلاح، وسخريّة بهذا الشَّعب وقِيَمه، واستفزاز من استفزاز الصِّبيان، وعداء للدِّين، وعبث بهُويّة الأمّة، وتخريب للأمن، وتحدٍّ للإرادة المؤمنة.
أتريدون أنْ تفسدوها أكثر ممَّا أفسدتموها وتفسدون؟!

حفلاتكم الماجنة مصمَّمة؛ لإنهاك الحالة الأخلاقيّة في هذا البلد، وجرّ النّاس إلى الباطل، وتخدير المشاعر، وتمييع الإرادة، وقتل الرّجولة، والتّغرير بالشّباب والشّابات، والإلهاء عن المطالبة بالحقوق، والقضاء على روح العزّة والكرامة والشّموخ والإباء في هذه الأمّة، وفي ذلك تحقيق لمطلب إسرائيل، لمطلب أمريكا، لمطلب كلّ الأعداء العالميّين الاستكباريّين، فإنّهم لا تنام لهم عين قارّة إلا إذا قضوا على روح العزّة والكرامة والإباء والشّموخ والإيمان في هذه الأمّة، وليس من طريق أقصر؛ لتحقيق هذا المأرب الخبيث، وإسقاط قيمة الإنسان في داخله، وتحويله إلى لعبة بيد أهواء الاستكباريّين من أنْ تُميّع البلاد، من أنْ تُسمّم الأجواء، من أنْ نركض وراء الجنس الرّخيص الحرام.
وإنَّ الآثار التّدميريّة، والدّور التّخريبيّ لهذه الحفلات لا يقتصر على من يجمعهم الهوى تحت سقف واحد على موائد اللّهو والفِسق والفجور، فإنَّ الإعلان والتَّرويج لهذه الحفلات الشَّيطانيّة، والنُّعوت المثيرة الكبرى التي تُعطى لها، والإكبار والتَّبجيل والاعتزاز بها، وبأدواتها من راقص وراقصة، ومغنٍّ ومغنّية، ومفتنٍ ومفتنة، وفاسق وفاسقة؛ ليُكبِر من قِيمة المنكر، ويزيّن الباطل، ويصرف عن الحقِّ، ويسمِّم الأجواء العامّة في السَّاحة الوطنيّة كلِّها.[٩]

٩. خطبة الجمعة (٣٢٣) ٢٥ربيع الثاني ١٤٢٩هـ - ٢ مايو ٢٠٠٨م.

شعارات محارِبة

يُطلق البعض عددًا من الشِّعارات الرَّنَّانة المزيَّفة المحارِبة في مواجهة أيِّ صوت ينادي باحترام الدِّين، وتصحيح الوضع الخُلُقيِّ، والتَّخلُّص من المنكرات، وتطهير هذه الأرض الإسلاميَّة من مظاهر الرَّذيلة والفحشاء والمجون.

ويتناول هذا الحديث بعض هذه الشِّعارات؛ لفحصها، وتعريتها، وإيضاح مداليلها الخطيرة المستهدفة لِمَن يحرِّكها.

١. التَّعدُّديَّة الثَّقافيَّة

يُطلق هذا الشِّعار للرَّدِّ على المطالبة بمنع الخمر، والتَّوقُّف عن حفلات الرَّقص، وإلغاء الإباحة الجنسيَّة التي تتوسَّع يومًا بعد يوم.

ما يريده هذا الشِّعار أن ليس للإسلام أيّ امتياز في هذا البلد على غيره من الأديان وحتى الطُّروحات الأرضيَّة، والأهواء الشَّيطانيَّة لا في فكر، ولا تشريع، ولا سلوك، ولا سياسة، ولا أخلاق، ولا أيّ حقل من حقول الحياة، وأيّ بُعدٍ من أبعاد حركة هذا المجتمع.

وهذه الجرأة على الإسلام، وهذا البلد، وهذا الشَّعب، وهذه المجاهرة، والمضادة المكشوفة لدين الله تعالى، والطّرح الوقح، والتَّناسي الغبيّ، أو المتعمَّد لواقع هذا الشَّعب المرتبط شديدًا بالإسلام، والمفاخر به إنَّما هو مقدِّمة لما هو أكثر جرأة وبشاعة ووقاحة، وحربًا على الإسلام، وهو المناداة بطرد هذا الدِّين المنقذ الذي لا غنى للإنسانيَّة عنه من تمام السَّاحة، وأنْ يتفرَّد بها صوتُ الشَّيطان، والمنتج المحلِّي من إعداده، أو المستورد تحت نظره من أيِّ بُقعة سافلة في الأرض، ومن أيِّ فكر هابط، وسلوك سخيف، وأخلاق متردِّية.[١٠]

المطلوب أخيرًا لمثل هذا الشِّعار أنْ يكون كلُّ شيء في البحرين محكومًا للفكر الآخر، والسُّلوك الآخر، والقانون الآخر، وأنْ يختفي أثر الإسلام.

وقد بدأوا اليوم قبل الغد يرمون الإسلام بالرَّجعيَّة والتَّقادم، وعدم القدرة على مواكبة التَّطوُّر ونحن نعرف أنَّ التَّطوُّر الذي لا يواكبه الإسلام، ولا يوافق عليه هو التَّطوُّر الآخذ في الانحدار، وإلا فإنَّ الإسلام قد صار يثبت - السبق اليوم فضلاً عن الأمس البعيد - قدرته على سبق كلِّ الأطروحات في التَّقدُّم الإيجابيِّ بكلِّ أبعاد الحياة، وإثراء الحركة الصَّالحة في

١٠. يراد للساحة أنْ تكون مملوكة لهذا المستورد والمنتج الشيطاني.

أيِّ وطن يكون له فيها موطئ قدم.[١١]

ومـن المفارقة التي يقع فيها أصحاب هـذا الشِّعار - شعار التَّعدُّديَّة الثَّقافيَّة - أنَّهم يصرُّون علـى علمنة الأحوال الشَّخصيَّة، وتحكيـم اتفاقيَّة (سيداو) المناهضة تمامًا للإسلام، وهذا بعد طرد الإسلام وإقصائه من كلِّ المساحة التَّشريعيَّة الأخرى؛ لتنفرد بها القوانين الوضعيَّة.

فأين هذه التَّعدُّديَّة الثَّقافيَّة؟

وأين الانفتاح على كلِّ الأفكار كما تدَّعون؟![١٢]

إنَّ شعـار التَّنوُّع الثَّقافي ومفهومه المطروح عندهـم يقول لك: أيُّها الملتزم بالإسلام، لا تحتجَّ منـذ اليـوم بإسلامك، ولا ترفع شعاره في وجه ما نريـد، ونُخطِّط له، ولم يعد هذا البلد بلدًا إسلاميًّا كما تتوهَّم.

وإنَّـه لكثير عليك إذا اعتُرِف لـك مؤقَّتًا بوجود هزيل، وشراكة محدودة ضيِّقة ضعيفة باهتة لا تكاد تبين.

وعلـى هـذا الشَّعب المسلـم أنْ يردَّ على هـذا الشِّعار وأمثالـه بإصرار أكـبر، وتمسُّك أشدُّ، وعودة أصدق للإسلام في كلِّ مجالات حياته؛ ليبطل كيد الشَّيطان وأهله فيما يريدونه بهذا الشَّعب، وبهذا الوطن.[١٣]

أنـت تحتجُّ عليهم بالإسلام، وهم يحتجُّـون عليك بأوضاع أهل الكفر، وأنت تلزمهم بالقرآن الكريم، وهم يلزمونك باتفاقيَّة (سيداو)، وكأنَّهم ليسوا من أهل هذه الأرض، وهذا الدِّين، ولا صِلَة لهم بهما، أو كأنَّنا نحن هذا الشَّعب قد طلَّقنا الإسلام طلاقًا بائنًا، وكأنَّ بيننا وبينه الفِراق الذي ليس بعده تلاقٍ.

مسلمون، مسلمون، مسلمون، وسنبقى دائمًا - إنْ شاء الله تعالى - مسلمين.[١٤]

وإنَّ علينـا أنْ نعرف أنَّ سياسه التَّجنيس من مختلف الملل والأصناف[١٥]؛ لتدخل في التَّمكين لشعـار التَّعدُّديَّة الثَّقافيَّـة بمضمونه المراد لهم، ولفرض واقع جديـد غريب على هذا البلد؛ ليُلجِـئ هـذا الشَّعب في يوم من الأيَّـام القريبة بأنْ يعترف بأنَّ البلد بلـد كفر كثير، وإسلام

---

١١. والإسلام هو الذي يقف اليوم شامخًا في كل الساحة الإسلاميَّة والعربيَّة؛ ليقارع الاستكبار العالمي، وليثبت جدارة هذا الدِّين على التقدُّم بوعي الأمَّة، وحركتها الإيجابية.

١٢. ولماذا لا يكون الانفتاح على المطالبة بالحقوق؟!، ولماذا عدم الانفتاح على حريَّة الدِّين عند أهل الدين؟!، ولماذا هذه الانغلاقيَّة السياسيَّة؟!، ولماذا هذه المطاردة المذهبيَّة؟!، ولماذا الكثير من التمييز؟، ولماذا الكثير من خنق الحريات؟!

١٣. هتاف جموع المصلين بـ (لبيك يا إسلام).

١٤. هتاف سماحة الشيخ وجموع المصلين بـ (بالروح والدم نفديك يا إسلام).

١٥. من مثل المغنين والمغنيات، والراقصين والراقصات.

قليل، وفجورٍ سائد، والتزام نادر، وواقع وضعيّ، وصورة باهتة من سطحٍ ديني باهت.[١٦] اغلقوا طريق هـذه المؤامرة، قفوا في وجهها صامدين، عضُّوا بالنَّواجذ على إسلامكم، قفوا في وجه كلِّ منكر يريد أنْ يسرح ويمرح في طول وعرض هذه السَّاحة.[١٧]

٢. شعار الانفتاح والتَّسامح

هـذا الشِّعار يقول لهذا الشَّعب: بلدك بلـد الانفتاح والتَّسامح، الانفتاح المفتوح على كلِّ شيء وربّمـا علـى الخسيس من الفكر، والجايف من السُّلـوك بالخصوص، ودينك كذلك، وإذا لم يكـن الدِّين منفتحًا بهذا النَّوع من الانفتاح فدعه يعيشـ في الزَّاوية المغلقة الحرجة، وانفتح أنـت انفتاح بلدك على كلِّ شيء مُغلِقًا عقلك عـن النَّظر في عاقبة الأمور، مُقسِرًا قلبَك على احتضان السيِّئ.

هذا الشَّعـار دعوة للانبطاح الثَّقافيِّ، والتَّخلِّي عن الدِّين والـذَّات والشَّرف والعفَّة والكرامة على حدِّ الانبطاح السياسيّ والتَّبعيَّة السياسيَّة، والذَّوبان السياسيِّ، والميوعة السياسيَّة أمام سياسة الغرب وإسرائيل.

إنّـه دعـوةٌ للتَّخلِّي عـن الإسلام، وعن الهُويَّـة، وأخلاقيَّـة الإيمان، واللَّحـاق بالفكر الآخر، والأخلاقيَّة الأخرى، والضَّياع في الآخر.[١٨]

هـذا الشِّعار مـن أجل التَّسامح والانفتـاح إلاّ مع الإسـلام، والالتزام الإسلامـيِّ، والأصالة الإسلاميَّـة، وحقِّ الإسلام في بلاده، والأخلاقيَّة الإسلاميَّة في موطنها، وحقِّ الإنسان المسلم في حرَّيَّته الدِّينيَّة.

هـذا الشِّعـار من أجـل التّسامح مـع السياحة الهابطـة، مع الرَّقص والرَّاقصـات، والزِّنا والزَّانيـات، ومن أجـل مصافحة ومعانقـة المِثليِّين والمثليَّـات، والتَّرحيب بالخمـر استيرادًا وصنعًـا وتجـارةً وتعاطيًـا وآثارًا كارثيَّـة وسلبيَّات متعاظمة؛ مـن أجل التَّسامـح مع العِري، والبشاشة في وجهه، والتَّمكين له، وتعميق ظاهرته.

٣. شعار المصلحة الاقتصاديَّة

هـذا الشِّعـار شعار إرهابـيٌّ يُطلقه أصحاب البذخ المـادِّيِّ وناهبو الفقـراء، ومصاصو دماء المحرومـين في وجـه أيِّ مطالبـة دينيَّـة بمراعـاة حرمة هـذا البلـد وكرامة دينـه، ونظافة

١٦. يريدون أن يلجئوننا بأن نعترف بهذا الواقع، هل تسمحون؟! هتاف جموع المصلين بـ (هيهات منَّا الذلة).

١٧. هتاف جموع المصلين بـ (لن نركع إلا لله).

١٨. يريدون لنا أن نضيع ذاتا في ذات الآخر.

السياحـة، وعدم الاعتماد فيها علـى سوق الخَمرة والفاحشة والمتاجـرة بالعنصر البشريِّ، واستيراد سلعة الجنس الحرام من أين انفضح سوقُها وكانت مغرية لطلابها السَّاقطين من المتوافدين على سياحتنا الشَّريفة في طلبها.[١٩]

إنَّـه شعار يخوِّف النَّاس بالفقر والمجاعة حين يقل التَّرويج للسِّياحة بالحرام ممَّا توعَّد عليه اللّه (عزّ وجل) بالعذاب من خمرةٍ وفحشاء ولواط وسحاق.

والحقيـق بهذا الخوف ليس الفقراء وإنَّما هم أهل الجيـوب المُترفة[٢٠] والتي يغذِّيها الدَّخل الهائـل من هـذه السياحة الهابطة وما فيها مـن مهنة الفحشاء، ومـن متاجرة بالأعراض، وعرض لمتعة الجسد الحرام، وتحايل واختطاف واصطياد للفاتنات من كلِّ مكان.

ومؤدَّى هذا الشِّعار أنَّه إذا ذُكر الاقتصاد، اقتصاد كبار السُّرَّاق والنَّفعيِّين، فلا تذكروا دينًا ولا قِيمًـا، ولا خُلقًا، ولا شرفًا، ولا كرامـة[٢١]، فكلُّ ذلك رخيص أمام مصلحة المترفين، وكلُّ شـيء يجـب به التَّضحية لهذه المصلحـة، ولا يمكن أنْ يُضحَّى بها من أجـل شيء، أيِّ شيء! ونحـن الكبـار السُّرَّاق لا نجـد بابًا أسهل من هـذا الباب المخزي، ولا مجـالاً أيسر من هذا المجال القذر؛ لضمان الرِّبح السَّريع الهائل والمفسد لهذا الشَّعب في الوقت نفسه!

٤. شعار للفتوى مجالها وللقانون مجاله

يقـول الشِّعار: هناك مساحتـان منفصلتان عن بعضهما البعض: مساحة الفتوى بما تعتمد عليـه من قرآن كريم، وسنَّة مطهَّرة، أو غيرهما من مصادر شرعيَّة أخرى عند هذا المذهب أو ذاك، وهـي المساحة التـي يمكن أنْ يُتاح للقرآن الكريم نفسـه، وللسُّنَّة المطهَّرة نفسها أنْ تكـون حركتهما في إطارهـا، وهي مساحة الحياة الشَّخصيَّة للفرد لـو شاء في الأمور التي لا تؤدِّي إلى تدخُّلٍ في صوغ الوضع العام وتوجيهه، والتَّأثير على مصالح الكبار المفسدين.[٢٢]

أمَّـا المساحة الأخرى الواسعة التي تستوعبها الحياة العامـة، ويدخل فيها الوضع السياسيّ، والاجتماعـيّ، والاقتصـاديّ، والوضـع الحقوقـيّ العـام، والتَّحكُّـم في القـوى والمؤسَّسـات الاجتماعيَّـة والثَّروة، فهـي مساحة مملوكة بالكامـل للسياسة الوضعيَّـة، وللقانون الوضعيِّ

---

١٩. هتاف جموع المصلين بـ (مسلمون مسلمون لنهجنا سائرون).

٢٠. تأثير السياحة الهابطة على من اقتصاديا؟ على الفقراء؟! لا.

٢١ هذا مراد الشعار.

٢٢. هذه المساحة نتركها وقتيا للفتوى، ولقرآن الفتوى، وللسنة التي تمد الفتوى، ولا نكتفي بهذا بل نضايقه، الإسلام صار يُضايق في المسجد، صار يضايق في الحسينية، صار يضايق في الموكب، صار يضايق في الأحوال الشخصية، الإسلام يطارد في كل زاوية من زوايا الحياة حتى الفرديّة.

والخاضع للوصاية السياسيَّة القائمة وليس لرأي الشَّعب، ولا علاقة للفتوى ومصادرها بشأن هذه المساحة على الإطلاق.

وهو طرح علمانيّ واضح فاضح صارخ وكأنَّ شعب البحرين صوَّت بالأغلبيَّة على هذا الفصل بصورة نهائيَّة لا رجعة له فيها، أو تُبرِّر هذا الفصل ولو إلى أنْ يتمَّ استفتاء آخر يمكن أنْ يُعدِّل من قضية هذا الفصل، وكأنَّ شعب البحرين قد خاصم إسلامه، أو جدَّ له رأي في الإسلام يجعل دين الله تعالى وشريعته معلَّقين على رفوف النِّسيان، وكأنَّ دستور البحرين لا ينصُّ على أنَّ الشَّريعة الإسلاميَّة مصدر رئيس من مصادر التَّشريع، وإنْ كان الدّستور لا ينصف الإسلام، ولا الشَّعب المسلم، ولايقدّرهما بقدرهما في هذا التَّعطيل والإقصاء للشَّريعة الحقَّة عن موقعها الطَّبيعي في توجيه وحكم حياة المجتمع المسلم بكاملها.[٢٣]

إنَّهم يقولون: إنَّ للفتوى مساحتها وأهلها، وحركة الفتوى والفقهاء والمجتهدين إنَّما هي في مسائل مثل الوضوء، والصَّلاة، والطَّهارة عن النَّجاسات لمَن تهمُّه هذه الأمور، ويرى أنَّها تستحقُّ أنْ يُصغى لها، وللسياسة أهلها وأبطالها وهم أصحاب الفكر الوضعيّ النّقي من شوب الإسلام، والمنفصل في تفكيره عن الفهم الدِّينيِّ، وفي نفسيَّته عن أيِّ تقدير للحكم الشَّرعيِّ، ويستوحش من ذكر هذا الحكم فضلاً عن الرُّجوع إليه.[٢٤]

وكلمة أخيرة بأنَّ نجاح الشِّعارات الأربعة على الأرض، وتحقيقها لمبتغاها من تصفية الوجود الإسلاميِّ على هذه الأرض تصفية كاملة، والإعداد لأجيال تتنكَّر للإسلام، وتعاديه، وتُنازله في هذا البلد المتديِّن اليوم إنَّما يعتمد على موقف الشَّعب نظريًّا وعمليًّا من هذه الشَّعارات.[٢٥]
موقف السُّكوت، وعدم المبالاة، والغفلة والتَّشاغل لا شكَّ أنَّه يُحقِّق لهذه الشِّعارات والمسوِّقين لها ما يريدون.

---

٢٣. نحن لا نفخر بنص الدستور على أنَّ الإسلام مصدر من مصادر الدستور، لا نفخر به أصلاً، إنَّه ظلم للإسلام، أيُجعل الإسلام في صف الدستور الفرنسيّ في المرجعية؟! في صف الأعراف الجاهليَّة المتسوردة؟!

٢٤. السياسة، الساحة العامة، الأمور المهمة متروكة لنفسية تستوحش من الحكم الشرعي، لعقلية لا صلة لها إطلاقا بالدين وفهمه وتقديره.

٢٥. أنتم اليوم شعاراتكم مع الإسلام، أولادكم غدًا مع الإعمال ستكون شعاراتهم مع الكفر، ستضج حتى المساجد لو بقيت صلاة لشعارات العلمانية. ثقوا أنه أكيد.

والموقف الوحيد الذي يُفشل هذه المحاولات الخبيثة إنَّما يتمثّل في وعيكم للإسلام، والتَّعرُّف على عظمته، وإعطائه الحضورَ الواسع كلَّما أمكن في حياة هذا الشَّعب على كلِّ المستويات في البُعد الفكريِّ والشَّعوريِّ والعمليِّ، وفي إطار حياة الفرد، والأسرة، والمجتمع، وعلى الصَّعيد الشَّعبيّ والصَّعيد الرَّسميّ معًا، وفي كلِّ الأوضاع بكلِّ الطُّرق الدِّينيَّة والعقلائيَّة المتاحة، واستمرار المجاهدة والمطالبة والمقاومة والإصرار على تنظيف هذا البلد من المنكرات الشَّائعة.

وأؤكِّد أنْ أيَّ مفارقة من شاب أو شابة، ومن أيِّ فرد من أفراد هذا المجتمع المسلم المؤمن عن أيِّ سلوك إسلاميٍّ، وأنَّ أخذهما في أيِّ قضيَّة من قضايا اللِّباس، وقصَّة الشَّعر، وعادات الزَّواج، وأنواع الاحتفالات، وإقامة العلاقات، وغير ذلك ممَّا يُبعِّد عن الإسلام، ويُقرِّب من حياة المجتمعات والفئات المعادية معناه خطوة مؤثِّرة في اتِّجاه تحقيق أُمنية أصحاب هذه الشِّعارات[٢٦] في امتلاك السَّاحة، وطرد الإسلام منها كليًّا، والتَّسريع بتحقيق هذه الأمنية، والكلّ مسؤول والله هو الغنيّ الحميد[٢٧].[٢٨]

٥- شعار الانفتاح على الآخر

تسود بين الأوساط مقولة: «الانفتاح على الآخر»، وهي مقولة تحتاج إلى تحليل ومحاسبة ليس هذا مكانها، ولكن لا يمنع ذلك من تناولها بدرجة ما.

- ما هو الآخر المفترض الذي عليَّ أنْ أنفتح عليه؟

الآخر يختلف، هناك آخر مؤمن أختلف معه بعض الاختلاف، وهناك آخر مباين كليًّا تقريبًا. هذا الآخر طرف حضاريٌّ مضاد عقيديًّا، فكريًّا، وثقافيًّا، وأنماطًا سلوكيَّة، له تصوُّراته ورؤاه الكونيَّة على خلاف تصوُّرات ورؤى الأمَّة، هو كافر والأمَّة مؤمنة، هو مادِّيٌّ والأمَّة تؤمن بالرُّوح، هو يسقط قِيمة الأخلاق، ويرى نسبيَّتها، والأمَّة تؤمن بالخُلق والقِيم، هذه فروق

---

٢٦. خلعك للعباءة انتصار لهذه الشعارات، أخذك بالبالطو الضيق هذا خطوة جريئة ومضادة لدين الله (عزّ وجل) وانتصار صارخ لمثل هذه الشعارات، هو قضاء على الدين، قضاء على الشعب، قضاء على الهوية. أنت تستسهلين هذا التصرف وتعتبرينه أمرًا شخصيًا، تصرفك ليس فرديًا، ليس من حقّك أن تتصرفي هذا التصرف، أنت هنا تعادين الشعب، تعادين الدين. انتقالك أنت الشاب كذلك من لبس الثوب إلى السروال القصير، بانتقالك من الثوب إلى السروال القصير وفي الطرقات فيه تقريب لحالة غير إسلامية، تعجيل لحالة غير إسلامية، نستطيع نحن بسلوكنا الشخصي أن نهدم الإسلام، وأن ننتصر للإسلام.

٢٧. خطبة الجمعة (٤٠٧) ٢٩جمادى الأولى١٤٣١هـ - ١٤ مايو ٢٠١٠م.

٢٨. الشعارات التي ذكرها سماحة الشيخ في هذه الخطبة كانت في سياق الشعارات التي رفعها البعض للدفاع عن وجود الخمرة في البحرين، وهي شعارات عامة على كل حال (المعدّ).

ملحوظة بين الأمَّة وبين الآخر الذي تدور حوله مقولة الانفتاح على الآخر.

- نسأل ما هي المساحة المعنيَّة بهذا الانفتاح؟

الآخر عنده تكنولوجيا، الآخر عنده فلك، الآخر عنده رياضيَّات وهندسة، الآخر عنده طب، الآخر عنده ما نسميه في المصطلح العلوم البحتة، أي العلوم الحياديَّة التي لا تنتمي إلى مبدأ معـيَّن وعقيدة معيَّنة، وأرض معيَّنة، والآخر عنده أخلاقيَّـة معيَّنة، عنده سلوك معيَّن، عنده فكر معيَّن، عنده سياسة معيَّنة، عنده نمط حضاريٌّ معيَّن يختلف بزاوية منفرجة عمَّا عندنا من هذه الأمور، بل هو التَّباين الكامل في كثير من المساحات.

- الانفتاح المطلوب على الآخر في أيِّ مساحة؟

هنـاك مساحة علميَّـة بحتة كعلوم الفلـك والرِّياضيَّات، وهـي حياديَّة لا تنتمـي لتاريخ، أو عقيدة، أو حضارة معيَّنة.

وهنـاك مساحـة التَّصـوُّرات والرُّؤى الكونيَّـة، والرُّؤيـة للإنسان والموت والحيـاة والأخلاق والقِيم، والمساحة الأولى ليست محلَّ الاهتمام لهذه المقولة، لأنَّ المساحة الأولى لا يجادل أحد في التَّعاطـي معهـا، مساحة العلوم البحتة لا يجادل أحـد في التَّعاطي معها والاستفادة منها، وهـي لا تنتمي إلى أوروبـا، وهي لا تنتمي إلى أمريكا، أمريـكا وأوروبا بدأت من حيث انتهت الأمَّـة الإسلاميَّـة في هذه المجالات، الأمَّـة الإسلاميَّة هي التي فتحت بـاب العلم التَّجريبيِّ، وهـي التي تعاملت بشكل مبكِّر مع الفلـك، ومع الهندسة والرِّياضيـات والطِّبِّ، فكما أخذوا منَّا نأخذ منهم.

هـذه المساحـة ليست محلَّ الجدل، وليسـت المعنيَّة بالانفتاح على الآخـر عند مَن يسوق هذه المقولة في صفوف المسلمين، وأوساطهم.

- ما هو المطلوب منَّا من الانفتاح على الآخر؟

هـو أنْ ننفتـح عليـه في توجُّهاته الحضاريَّـة، في توجُّهاتـه الفكريَّة، في ثقافتـه، في أنماطه السُّلوكيَّة، في إنكاره لوجود الله تبارك وتعالى، في عدم اعترافه بالرُّسل والرِّسالات.

- ما هي طبيعة الانفتاح المطلوب، ومداه وهدفه؟

هذه بعض أسئلة، ويمكن أنْ تضع عشرات الأسئلة هنا في مسألة الانفتاح على الآخر.

- انفتاح من الخاصَّة أو العامَّة؟

ما هو الانفتاح المطلوب؟ هل هو الانفتاح من الخاصَّة من العلماء المتخصِّصين الذين توفَّروا علـى رؤية إسلاميَّـة واضحة مركَّزة مبرهنة، واكتسبوا القـدرة الفائقة على محاورة الآخر، وعلى الكشف عن زيف ما عند الآخر؟

قـد يكـون الانفتاح في هذه الحدود - وهذا موجود بلا دعـوات إلى الانفتاح -، أو أنَّ الانفتاح المطلـوب هـو انفتاح العامَّة؟، انفتاح جماهير الأمَّة؛ لتسمع كلَّ مـا يقول الآخر، ولتشاهد كلَّ مـا يقـول الآخر، ولتعايش تربية الآخـر، لتخضع لعمليَّات الغسيل المخيِّ مـن الآخر، ولتتلقى أفلام الجنس، وتنفتح على قنوات المجون، وعلى قنوات الإلحاد والتَّشكيك، ومحاولة الهزيمة للأمَّـة، والهروب بالأمَّة عن انتمائها؟ مطلوب من الجماهير أنْ تنفتح على كلِّ ذلك انفتاحًا عامًّا؛ لنكون تقدُّميِّين قد انفتحنا على الآخر؟ مرفوض مائة في مائة.

- حوار الدَّعوة والهداية؟

الحوار أهو حوار للدَّعوة والهداية، أنْ ندعو، أنْ نبيِّن حقانيَّة الإسلام، أنْ نفتح عقول الآخرين على الإسلام، أنْ ندعوهم إلى عبادة الله تعالى، وإسقاط عبادة الأوثان؟

هذا واجب حتميٌّ قرَّره الكتاب وقرَّرته السُّنَّة، وهذا إنَّما يكون على مستوى المبادرة المدروسة وليس ركضًا وراء خطَّة الآخر، وعلى مستوى الإجابة المسترسلة للآخر.

الأمَّة مطلوب منها أنْ تكون داعية لله تعالى، أنْ تكون داعية للحقِّ وعليها أنْ تبادر إلى ذلك، وعليها أنْ تكون مبادرتها مدروسة مدعومة بكلِّ وسائل النَّجاح.

- هذا الحوار لدرء الإشكالات والشُّبهات عن السَّاحة؟

لـو كان كذلك فهـذا لا يعني إتاحة الفرص للآخر، أنْ يمـلأ السَّاحة بإشكالاته التي تجعلك في موقـع الدِّفاع، وتمتلك عليك ساحاتك، وهـمَّ أوساطها على حساب امتداد وتركُّز الثَّقافة الأصيلة، والتَّمحور حولها.

- الانفتـاح المطلـوب هل هـو انفتاح على مستـوى التَّرحيب بالآخـر في كلِّ السَّاحات والمواقع العامَّة والخاصَّة؟

وقد اكتسح الآخر كلَّ مواقعنا، وإذا بقيت نصف ساعة أو ساعة يقضيها المؤمنون في المسجد في احتفـال، أو صـلاة أيضًـا نعطيهـا للآخـر؟، ونجعل المسجـد سوقًا لترويج فكـر الآخر؟ والحسينيَّة نجعلها سوقًا لترويج فكر الآخر؟!

هـذا هو مـن الانفتاح المطلوب، انفتاح على مستوى التَّرحيب بالآخر في كلِّ السَّاحات والمواقع العامَّة والخاصَّة؛ لتتحول من كونها منابر للإسلام إلى كونها منابر للحضارة الغازية المعلوم سقوطها ودناءةُ أهدافها عند النُّخبة الواعية؟!

- الانفتـاح على الآخر يعني قبول الحلول الوسـط مع الآخر على مستوى العقيدة والتَّوجُّهات والسُّلوك؟!

- هل يعني الانفتاح على الآخر التَّنازل عن الذَّات الحضاريَّة والذَّوبان في الآخر؟!

- هـل يعنـي انصراف الخاصَّة كلُّهـم إلى تتبُّع تفاصيـل الفِكر الآخر بعـد معرفتهم بفساد مرتكزاتـه، وفقـده للأرضيَّة الصَّالحة حتـى يتلهوا بفكر الآخر عن الفكـر الإسلاميِّ، وعن التَّعمق في القرآن والسنة؟!

نحـن ننفتـح على فكـر الآخر علـى مستوى الخاصَّـة، وعلى مستـوى ما تقضـي الضَّرورة؛ ضرورة ردِّ الإشكالات والشُّبهات، وقد يكون؛ من أجل السَّبق إلى سدِّ الطَّريق على الإشكالات والشُّبهـات، وهـذا الاشتغال بالفكر الآخر لا يكون على مستوى عـام وإنَّما يكون على مستوى المعهـد والكليَّـة المتخصِّصة، وعلى مستـوى الأروقة الخاصَّة في المسجـد، في حلقات الدَّرس المعمَّقة.

ويكـون علـى مستوى تحصين النُّخب المثقَّفـة من فكر الآخر في مثل هذه الأجـواء الدِّراسيَّة الهادئـة المخطَّـط لهـا، ولا يعنـي الانفتـاح علـى الآخـر أنْ نفتح أبـواب المساجـد، وأبواب الحسينيَّـات، وأبـواب البيـوت، وكلَّ باب لفكـر الآخر؛ ليحـلَّ بديلاً محلَّ الفكـر الإسلاميِّ الأصيل الذي نتحمَّل مسؤوليَّة إيصاله إلى الأجيال.

- ما هي طبيعة الموقف العمليِّ للآخر، والذي يراد لنا أنْ ننفتح عليه؟

ما هو الآخر من جانب عمليٍّ؟ سألنا عنه من جانب النَّظريِّ، ونسأل عنه من جانب عمليٍّ.

هـذا الآخر استعمار، واستغلال، - هيمنة حضاريَّة يفتح طريقها بالحديد والنَّار... - تحكُّم في الشُّـؤون الدَّاخليَّة، وإكراه على تغيير المناهج التَّربويَّة والدِّينيَّة والإعداد المناسب له لأئمَّة الجماعة والجمعة والخطباء عن طريق قرارات سياسيَّة وإداريَّة صارمة يُمْلِيها ويشرف على تنفيذها تنفيذًا يتمُّ تحت رؤوس الحِراب، وهذا هو الآخر الذي يراد لنا أنْ نفتح أبوابنا كلَّها؛ ليغزونا[٢٩].

• فتح السَّاحة للآخر حرام

﴿وَمِـنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيـثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٣٠].

لهو الحديث، وليس الحديث المُخطَّط له، المُصمَّم تصميمًا دقيقًا بقصد الغزو، وإحلال فكر الآخر محلّ الفكر الإسلاميِّ.

مـادَّةٌ تلهي النَّاس عـن سماع القرآن الكريم، تصرف النَّاس عن سماع السُّنَّة، هذه، شَغلُ

---

٢٩. خطبة الجمعة (٩٤) ١٤ ذي القعدة ١٤٢٣هـ - ١٧-١-٢٠٠٣م.

٣٠. سورة لقمان: ٦.

السَّاحة بها مُحرَّم. ويجب أنْ تُردَّ وتُطرد، فضلاً عن الفكر الغازي.

وآيـة أخرى: ﴿وَإِذَا سَمِعُـوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[٣١].

سمـاعُ اللَّغـو - فضـلاً عـن سماع الكفـر -،... فتـح السَّاحـة لأنْ تُشغـل بالفسـاد الفكريِّ والأخلاقيِّ، وتخاطب أبناء الخامسة عشرة والسَّادسة عشرة من العمر في البلاد الإسلاميَّة بالفكر الآخر المعادى، جريمة لا ينبغي ارتكابها.

...«مَـن أصغـى إلى ناطق فقد عبده، فـإنْ كان النَّاطق يؤدِّي عـن الله (عزّ وجل)، فقد عبد الله، وإنْ كان النَّاطق يؤدِّي عن الشَّيطان فقد عبد الشَّيطان»[٣٢].

هـؤلاء النَّاطقون بالفكر الغربـيِّ، أصحاب الكتابات الغربيَّة التي تُحـارب الإسلام، وتُشكِّك في الإسـلام، وأصحاب النَّدوات الذين يمثِّلون رُسُل الفكر الغربيِّ، ومُسوِّقي الفكر الغربيِّ في بلاد الإسلام، ناطقون عن الله تعالى؟!، أو ناطقون عن الشَّيطان؟![٣٣]

٦- شعار الحريَّة وعدم الوصاية

إسلاميًّا لا حريَّة لأحد أمام الله تعالى.

الله تعالى هو الخالق، هو المدِّبر، هو الرَّازق، هو المالك من كلِّ أحد، كلّ ذرَّة من وجوده، وكلّ حركة من حركاته، وكلّ أثر من آثاره حتى أنَّك لتقول: حقًّا بكلِّ إيمان لا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم، أنت الذي لا تملك من نفسك أمام قدرة الله تعالى شيئًا، وأنت الذي لا تستقلُّ بشيء من وجودك وحياتك في شيء.

أنـت الذي كلُّك من الله تعالى، وكلُّك بـالله سبحانه، أنت الذي يتدفَّق عليك وجودُك آنًا بعد آنٍ من فيض الله (عزّ وجل)، أتستكبر على أنْ تمتثل لأمر الله تعالى ونهيه؟!

أليس من مقتضى العقل الواضح أنَّ مالك الوجود يتصرَّف في ملكه، فأنت المملوك بكلِّك لله تعالى، أليس من حقِّ الله سبحانه في العقل أنْ يتصرَّف فيك بأمر ونهي؟

إنَّه لا حريَّة أمام الله تعالى لأحد على الإطلاق، لا في صلاة، ولا في صوم، ولا في سياسة، ولا في اجتماع، ولا اقتصاد، ولا أيِّ شيء آخر.

---

٣١. سورة القصص: ٥٥.

٣٢. الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ ص ٤٣٤.

٣٣. نفس الخطبة.

الذيـن يطلـبون التَّحرُّر مـن شريـعة الله تعالى عليـهـم أنْ يطلبوا الانـفصال عـن قدرة الله (عزّ وجل)، فيحيوا بغير قدرته، ويقوموا ويقعدوا، ويفكِّروا من غير مَدَده.

بعد الله تعالى لا سيادة لأحد على أحد لا تكوينًا ولا تشريعًا.

ليـس لملـك، ولا نبـيٍّ، ولا رسول حـقُّ التَّشريع، وحقُّ الأمـر والنَّهي والطَّاعـة في الأصل على الإطلاق.

حـين ننظر إلى الملـك في نفسه، حين ننظر إلى الرَّسول في نفسه وبمـا هو بشر لا نعطيه حقَّ الأمر والنَّهي، ولا نعترف له بحقِّ الطَّاعة على الاطلاق.

وكمـا لا سيـادة لأحد علـى أحد بعد الله تعـالى لا تكوينًا ولا تشريعًا، فليس مـن حقِّ أحد أنْ يعطـي مـن نفسه العبوديَّة مختـارًا لأحد، وإذا كانـت العبوديَّة عبوديَّة الدَّاخل فـإنَّ أحدًا لا يملكها منك إلا بأنْ تُملِّكه أنت من نفسك.

وليس لأحد من النَّاس على الاطلاق أنْ يذلَّ في داخله، أنْ يعترف بحقِّ الطَّاعة لأحد من غير الله سبحانه وتعالى مفصولاً ذلك عن أمر الله تعالى وإذنه.

ولا نقول بالحريَّة المطلقة للإنسان، لأنَّ القول بالحريَّة المطلقة للإنسان ولو في اتِّجاه غير الله تعالى يساوي نتيجة خطرة، هذه النَّتيجة هي حقِّ التَّصرف المُطلق في الغير.

لـو قلـت لنفسي بأنِّي حرٌّ بالنِّسبة لعلاقتـي بالآخرين لكان معنى ذلـك أنَّ لي حقَّ التَّصرُّف المطلـق في الآخرين وهذا خطأ، ففي الوقت الـذي يحرم عليك أنْ تعطي من نفسك العبوديَّة لأحد، فإنَّه ليست لك الحريَّة المطلقة في اتِّجاه الآخرين من خلق الله تعالى.

مـا معنى هذه المقولة التي تتردَّد على ألسن الكثيرين بوضوح وبدون وضوح، وهي مقولة: (لا وصاية)؟

ومعنى وصاية الرَّأي والكلمة وجوب الطَّاعة.

حـين تنفى الوصاية، فمعنى ذلك نفـي وجوب الطَّاعة من أحد لأحد، إلا أنَّ هذا الأمر خطأ، فليس في الإسلام نفي مطلق للوصاية.

قبـل أنْ نبـيِّن هذا الوجه، هنـاك احترام خُلقُي يجب أنْ لا نخلطه بأمـر الوصاية ثبتت أو لم تثبـت، وهناك التَّقدير العقلائيَّ للخـبرة والاختصاص، وهذا أمر آخر - أيضًا - يجب أنْ لا نخلطه بقضيَّة الوصاية وعدم الوصاية.

أمَّـا الوصايـة بمعنى وجـوب الطَّاعة بالذَّات لأحد مـن خلق الله تعالى، فهو أمـرٌ منفيٌّ بكلِّ وضـوح في الإسـلام - كما سبق -، فليس لملك ولا رسـول أنْ يُطاع من غير إذن الله سبحانه، وبالنَّظر إلى ذاته فحسب.

أمَّـا الوصايـة بمعنى صحَّة الأمـر والنَّهي، ووجوب طاعـة هذا الأمر والنَّهـي إذا كانت هذه الوصايـة بالغـير، فالمنكر لها منكر لأَبْدَهِ البديهيَّات في الإسلام، فـإنَّ علينا أنْ نطيع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهـو أولى بالمؤمنـين مـن أنفسهـم، وإنـكار الطَّاعة لرسـول الله صلى الله عليه وآله إنكار لأساسيَّة كبرى من أساسيَّات الإسلام، لا يسلم مع إنكارها الإسلام لأحد على الإطلاق.

وهنـاك طاعة لعليٍّ عليه السلام وأبنائه المعصومين عليهم السلام باعتبارهم أئمَّة من الله تبارك وتعالى، وكلَّمـا أمـر الله سبحانه بطاعة أحد وجبت طاعته. فطاعتـك لوالديك في الحدود الشَّرعيَّة واجبة بلا إشكال.

هـذه الطَّاعة الثَّابتة لرسول الله صلى الله عليه وآله الثَّابتة للأئمَّـة المعصومين عليهم السلام من بعده إذا ثبت شيء منها لفقهاء الأمَّة كانت الوصاية بمعنى وجوب الطَّاعة أمرًا دينيًّا لا مفرَّ منه.

إنَّـك تطيـع الفقيه تشريعًا في أخـذك الفتوى منه، وحين يتحدَّد في فكـرك ونفسك أنَّ عليك تقليـد فـلانٍ تكون فتوى فلان ملزمة لـك، ويجب عليك طاعته، وإنكار ذلـك فيه ما فيه من تجاوز للإسلام.

فتبيَّن لك أنَّ إنكار الوصاية على الإطلاق ليس من الإسلام في شيء.

تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ، تجب طاعة الأئمَّة المعصومين عليهم السلام ، تجب طاعة الفقهاء في الحدود التي ثبت الأمر الشَّرعيُّ من المعصومين عليهم السلام بطاعتهم.[٣٤]

٧- شعار الواقعيَّة

وأمَّـا شعار الواقعيَّة، فكـم قَبَرَ من مصالح للإسلام، وأزهق من حقٍّ، وأحيا من باطل، وفتح الطَّريـق للظُّلـم والقهر والعبث بالدِّيـن، وأذلَّ المؤمنـين، وأعان عليهم، وجهَّلهـم، وبلَّههم، واستغفلهـم، وذيَّلهـم، وكان العـذرَ لكلِّ قاعـد ومتقاعد، وواهـن ومتهاون، ومبهـور بالدُّنيا وطامع؟!

وهـو شعار مسؤول عن خسارة المسلمين هويَّتهم وأصالتهـم أمام الغزو الغربيِّ الكافر، وعن روح الانحـلال الخُلُقـيِّ التي سرت في مجتمعاتنـا، والتَّبذُّل المنتشر بين صفـوف أبناء الأمَّة وبناتها.

فـلا ينبغي للمؤمنـين أنْ يضيِّعوا قضاياهم الكبرى، ويذوبوا في مـا يخطِّط لهم على خلاف مـا تقتضيه مصلحة الإسـلام والمسلمين باسم الواقعيَّة المطروحة شعـارًا في غير إطار رؤية

٣٤. خطبة الجمعة (٢٢٤) ١٣ ذي القعدة ١٤٢٦هـ - ١٦ ديسمبر ٢٠٠٥م.

متكاملة مدروسة، تحكمها رساليَّة العقل المسلم، وشعور الإيمان، ممَّا يعني تمرير كلِّ المشاريع التي تنطلق من مواجهة الإسلام، وفتح الطَّريق إليها، وتركيزها.
وكثيرًا ما يخلط شعورنا المأسور للواقع المذعور أمامه بين الواقعيَّة الصَّحيحة وبين الاستسلام للواقع والانبطاح له.
وما أكثر ما تُملي علينا روح الاسترخاء، وروح الانتفاع الذي تشتهيه النَّفس من الواقع بأنْ نرفع شعار الواقعيَّة، ونتحمَّس له، ونحوِّله ثقافة جماهيريَّة على مستوى الفكر والشُّعور والموقف العمليِّ، ممَّا يمثِّل حال تخدير عام يهيمن على السَّاحة الإسلاميَّة، ويفتح الطَّريق لكلِّ مشاريع الهيمنة الأجنبيَّة الجاهليَّة.
إنَّنا النَّاسُ الذين يضغط عليهم الحماس، فنرفع شعار الرِّساليَّة بلا حساب للواقع، أو يَضغط عليهم الضَّعف والمصالح، فنرفع شعار الواقعيَّة ولو بتصوُّر حماية الرِّسالة بما يسحق الرِّسالة والرِّساليَّة، وينسف قِيم الدِّين ومصالحه.
والتَّوفيق الدَّقيق بين المبدئيَّة والواقعيَّة واحدٌ من الأمور التي استوجبت في إمام المسلمين بعد المعصوم عليه السلام شروطًا عالية، ما الفقاهة[٣٥] الشَّاملة الواعية المستوعبة لمساحة الحكم الشَّرعيِّ، والبنية العامَّة للإسلام، ومفاهيمه ورؤاه، وأهدافه وأولويَّاته وأساليبه إلا واحدٌ منها.

فمع ذلك المستوى من الفقاهة، التَّقوى، والتَّاريخ النَّظيف البعيد عن الشُّبهات، والشَّاهد على النُّضج والإخلاص، والمبدئيَّة وصحَّة الرُّؤية، والرَّصيد الضَّخم من التَّجربة والخِبرة، والصَّلابة النَّفسيَّة، والفهم المتوازن للمبدئيَّة والواقعيَّة.
والإسلام يؤكِّد على المبدئيَّة، ويأخذ بالواقعيَّة، وله نظرُهُ الدَّقيق الحكيم الواسع الذي يوظِّف الواقعيَّة في خدمة المبدأ، ولا يجعلها تنال منه، أو تتَّخذُ منه مركبًا لتحريفه، وتشويهه، والتَّلاعب به.[٣٦]

٨- شعار الدِّيمقراطيَّة

الدِّين رؤية كونيَّة ومنهجة وتنظيم عام لكلِّ مساحة الحياة، وله طَرْحُهُ الخاصُّ في المسألة السياسيَّة الذي يختلف عن الدِّكتاتوريَّة، وعن الدِّيمقراطيَّة بمفهومها الغربيِّ.

---

٣٥. الفقاهة بهذا المعنى الوسيع واحد من مرتكزات مطلوبة في إمام المسلمين بعد المعصوم عليه السلام.
٣٦. خطبة الجمعة (١٧٦) ١٣ شوال ١٤٢٥هـ - ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٤م.

مـن الدِّيمقراطيَّة أنْ يُترك للشُّعوب، أن تختار نمـط حياتها ونظامها السياسيّ وإنْ اختارت الإسـلام أو غيره، الأمـر الذي تتنكَّر له ديمقراطيَّـة أمريكا وأوروبا، ولا يمكـن أنْ تلتزم به عمليًّـا، وتقـف في وجهه بكلِّ قـوَّة وصرامة وعنف وظلـم واستبداد وعنجهيَّـة إذا جاء خيار الشُّعوب الإسلاميَّة خيارًا إسلاميًّا.

ليسـ أمـام الشُّعوب الإسلاميَّة مـن ناحية عمليَّة إلا أنْ ترحـب بديمقراطيَّة تعطيها الخيار الحـرَّ، وعليها من جهـة أخرى أنْ تستجيب لأمر ربِّها باختيـار الإسلام لا غيره، وأنْ لا تقبل الدِّيمقراطيَّة المشروطة بالنَّمط الغربيِّ، وبقيمومة أمريكيَّة، أو أوربيَّة، فبحسب الواقع أفضل طريـق متـاح للتَّغيير الآن هو الدِّيمقراطيَّـة، وبحسب الواجب الشَّرعيِّ لا خيـار لمسلم في أنْ يختار على الإسلام شيئًا آخرًا.

والدِّيمقراطيَّـة شعار تستعمله أمريكا وأوربا غطـاءً؛ لإقامة واقع حضاريٍّ بديل عن الإسلام في بلاد المسلمين.

والوعـي الشَّبابيُّ سـلاح فاعل في إبطال اللُّعبـة، وإفشال المخطَّط الأجنبـيِّ الماكر. والوعي لا يأتـي مـن فراغ، ولا من حالة حماس مجرَّدة، ولا التحاق نشـط بالنَّشاط الإسلاميِّ يفتقد الرُّؤية المركَّزة والدَّرجة الكافية من الدِّراسة.

الوعي يحتاج إلى فهم جيِّد لقيمة الإسلام وضرورته، وأصالته، وقدرته على الإنقاذ والتَّحرير، وتوفـير متطلَّبات الحياة العادلة الهانئة السَّعيـدة، والتزامه بتحقيق كرامة الإنسان، وحفظ مصلحته المستقبليَّة.

وهـذا يحتاج إلى قراءة وإمعان ودرس وتدارس وحوارات ومطارحـات، ويحتاج إلى معاهد وكلِّيات وحوزات كفوءة وذات تخصُّصات كافية.

وعلى العلماء والمؤسَّسات الإسلاميَّة مسؤوليَّة ثقيلة بالغة في هذا المجال كلِّه.[٣٧]

• الدِّيمقراطيَّة لعبة مشتركة

توالـت هزائمُ الأمَّة وانتكاساتها، وتعمَّق تخلُّفها على يد أنظمة الحكم السَّائدة فيها المُتخلِّية عن الإسلام، وفي ظلِّ الأحزاب والمنظَّمات المتغرِّبة.

وبـدأت صحوة إسلاميَّـة قويَّة، وانبعث شعـار العودة إلى الإسلام، وأخـذ مفعوله الكبير في صفوف أبناء الأمَّة.

---

٣٧. خطبة الجمعة (١٩٩) ٤ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ - ١٣ مايو ٢٠٠٥م.

ومـن ردود الفعل على الصَّحوة الإسلاميَّـة الكاسحة الطَّرح الأمريكيُّ للدِّيمقراطيَّة الشَّكليَّة (وأقـول الشَّكليَّـة) في البلاد الإسلاميَّـة؛ لاختطاف الأنظـار، وللتَّلهية والتَّخديـر، ولإنقاذ الأنظمة التَّقليديَّة من أنْ تتعرَّض للإسقاط والتَّغيير الجذريِّ.

وقد ذهبت أمريكا وأوروبا إلى أنْ تُسقط بنفسها النِّظام المتصلِّب الذي يقف في وجه خطَّتها، ويصـرُّ على التَّحرُّك خـارج المسار الذي تختاره بعد صبرٍ طويل علـى تمرُّده، وبعد دعمه في وجـه الإسلام وانتفاضات الإسلاميِّـين كما في نظام صدَّام خشية تحقُّـق مكاسب إسلاميَّة على الأرض تقطع على أمريكا طريقها.

ولا يُستبعد أنْ يوجد تنسيق وتوافق بين أمريكا والأنظمة التَّقليديَّة على فتح السَّاحة في البلاد الإسلاميَّـة اقتصاديًّـا وثقافيًّا ودينيًّا وتربويًّـا أمام الإرادة الأمريكيَّـة وخططها وتنفيذاتها المباشرة وغير المباشرة في المنطقة.
وأمَّـا السَّاحة السياسيَّـة، فالحكم فيها متقاسم بـين الأنظمة المحليَّة ومـا يُسمُّونه بالقطب الواحد صاحب الإرادة السِّياديَّة.
والثَّمـن الذي تتمسَّك به أنظمة الحكم التَّقليديَّة هو أصل البقـاء والمكاسب القبليَّة والفئويَّة والحزبيَّة التي تتمتَّع بها على حساب الشُّعوب المظلومة.

وتترتَّب على هذه اللُّعبة المشتركة أمور:
أ. امتصاص نقمة الشُّعوب، وخلق حالة أمل كاذب عن طريق التَّبشير بشعار الدِّيموقراطيَّة، ونصرة الشُّعوب وإنقاذها.
ب. اختطـاف نظـر الأمَّة عـن الطَّرح الإسلامـيِّ المنقذ حقًّـا والذي صار يُحقِّـق واقعًا على الأرضـ، وشغل السَّاحة الإسلاميَّـة بثقافة سياسيَّة بديلة تُبقي على جهـل الأمَّة وغربتها في مجال الثَّقافة السِّياسيَّة والإسلاميَّة المُنْقِذة.
ج. الاقـتراب مـن المعارضـة في البـلاد الإسلاميَّة إلى حـدِّ الالتصـاق والتَّغلغـل للسَّيطرة المعلوماتيَّة الشَّاملة.
د. احتواء النُّخب القياديَّة الجاهزة في البلاد الإسلاميَّة، وإعداد نخب ناشئة؛ لتكون البديل الجاهـز؛ لتنفيذ الخطط الأمريكيَّة في حال اقتضت المصلحة الأمريكيَّة استبدال الحكومات القائمة.

هـ. خلق حالة أنس شعبيٍّ عام، بل ثقة واطمئنان للصَّديق الغازي، والعدوِّ المنافق ترتفع إلى درجة الموادَّة والشعور بالامتنان، وواجب تقديم الشكر.

و. التَّربيــة والتَّثقيف الأجنبيَّان المباشــران وغير المباشرين للشُّعوب الإسلاميَّة في ظلِّ أجواء الثِّقــة بحيث تنتهي إلى حالة ولاء كامل وارتماء في أحضان الأجنبيِّ يصاحبه انفصال واسع عــن الأنظمــة الحاكمة التي آلمت تجربتُهــا الشُّعوب، ويُهيِّئ إلى التَّرحيــب بالخيار الأمريكيِّ الغربيِّ المعادي للإسلام في كلِّ مناحي الحياة عن رضًا واطمئنانٍ، وشوقٍ صادق.[٣٨]

٣٨. خطبة الجمعة (٢٢١) ٢٢ شوال ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥/١١/٢٥م.

الفصل الثَّاني

معًا في المواجهة

الفصل الثَّاني

معًا في المواجهة

أوَّلاً: متطلبات المواجهة

• تقييم لواقعنا في المواجهة

الهجمة على الإسلام والأمة شاملة لكل أبعاد وجودها،.. والجبهات متعدّدة وكلُّ جبهة تحتاج إلى حماةِ ثغورٍ ومدافعين، وتحتاج إلى رَفْعِ مستوى وإعدادٍ وتقويةٍ داخلية، ومن أخطر الجبهات الجبهة الفكريّة والثقافيّة والتربويّة،... وكلُّ ذلك يتعرّض إلى هجمة شرسة وغزوٍ خطير.[٣٩]

وإنَّ أنشطتنا الدِّفاعيَّة وتحصيناتنا، ووسائلنا الهجوميَّة في المواجهة الثَّقافيَّة والتَّربويَّة حسب الإمكانات المتواضعة المتاحة والتي لا تخلو من محاصرةٍ ومضايقة هي: صلاة جماعة هنا وهناك، مشروع لتعليم الصَّلاة والقرآن في هذا الموقع أو ذاك، مشروع تدريس لأوَّليَّات الدِّين في مكان وآخر، مؤسَّسة ثقافيَّة، أو اجتماعيَّة، أو سياسيَّة ذات توجُّهٍ إسلاميٍّ، تجمُّع علمائيٌّ على خطِّ الدِّين، احتفالات بالمناسبات الدِّينيَّة، وعظٌ وإرشادٌ ومحاضرة وندوة؛ للتَّنبيه والإيقاظ ودفع الشُّبهة وتصحيح النَّظرة، ومعالجة حالة الخلل والانحراف، وهذا كلُّه قليل وغير مقاومٍ بحسب طبيعته إلى حدِّ الكفاية.[٤٠]

ومع ذلك هل تجد هذه المساحات والمواقع وألوان النَّشاط التَّبليغيِّ المتواضعة كفايتَها من أصحاب الكفاءة والدَّور القادر على نوع من المشاركة الفاعلة والدَّاعمة، ومن المال، ومن الجمهور المستفيد والمشجِّع والمساند؟[٤١]

ونستطيع أنْ نجيب على هذا السُّؤال مطمئنين بالنَّفي[٤٢]، في حين أنَّ أيَّ فتور، أو تساهل، أو غفلة، أو تغافل، أو قلَّة عددٍ، أو ضعف إمكانات ممَّا يُؤثِّر سلبًا على حركة المقاومة الثَّقافيَّة،

---

٣٩. إذا كان كذلك، فما مستوى مقاومتنا؟، وما مستوى استعدادنا، واهتمامنا بمسألة مصير الإسلام والمسلمين؟

٤٠. هل أخذنا بالتَّعبئة الكاملة بكل كفاءة؟، وهل جنَّبنا أنفسنا كاملاً لمثل هذه المهمَّة؟، وهل قام كلُّ واحد منَّا بواجبه حسب طاقته في هذا الجهاد؟، وهل نمتلك في داخلنا من الاحتراق للإسلام، والهمِّ الإسلاميِّ بقضيَّة الحفاظ على الإسلام ما نمتلكه بالقياس إلى شؤوننا الخاصَّة؟ ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، لكن هل نصرنا الله تعالى حتى في هذه السَّاحة الهادئة؟، قليلون جدًّا هم الذين لا يستطيعون أنْ يُسهموا في هذا الميدان من ميادين الجهاد، والباقي غير معذور.

٤١. أتُعامل الاحتفالات الدِّينيَّة بأقلِّ درجة من الاهتمام، ويفارق عالٍ جدًّا بينها وبين حفلات العرس؟ على أهميَّة إدخال السُّرور على المؤمن بحضور حفل زواجه، وعلى أهمية مشاركة المؤمن ومواساته في مصيبته، إلا أنَّ ذلك وبلا شكٍّ أقلُّ شأنًا من إحياء أصل الإسلام، والدِّفاع عنه.

٤٢. فليس عندنا درجة من الاستنفار الكافي، والاستعداد الكافي، ولا التَّجنيد الكافي للمعركة الثَّقافيَّة.

ودفعِ الخطر الماثل عن الوضع الفكريِّ والنَّفسيِّ والسُّلوكيِّ لأبناء الأمَّة وأجيالها الشَّابَّة يعني ضياعًا للإسلام وتقهقُرًا عمليًّا لوجوده في حركة الحياة في كلِّ مساحاته الخاصَّة به، وتراجُعًا له في نفوس المسلمين وضميرهم.

• استراتيجيَّة معًا

وهذا يعني أنَّ تخلُّف أيِّ عنصر من العناصر القادرة عن المشاركة بالدَّرس والتَّدريس، بالمحاضرة، بالنَّدوة، بالوعظ والإرشاد، بالعضويَّة الفاعلة في هذه المؤسَّسة النَّافعة أو تلك، بالإسهام الفكريِّ، أو الماليِّ، بالحضور، بالتَّشجيع والدَّعم والمساندة، بالمشورة، بتقديم الخبرة، بتكثير العدد في بعض المواقع، بطلب رفع المستوى الشَّخصيِّ بالدَّرجة الممكنة في فهم الإسلام، وفهم الوظيفة الإسلاميَّة إنَّما يعني تَخلُّفًا عن نصرة واجبة يحتاجها الإسلام كلّ الحاجة فعلاً، فَلَمْ تعد مثل المشاركات - التي مرَّ ذكرها - من الأمور التَّطوعيَّة المستحبَّة فحسب، بينما الحالة القائمة حالة هجوم حادٍّ على كلِّ الأبعاد، واستهداف شامل لهويَّة الأمَّة وبقاء الإسلام، ولا يمكن صدُّ الخطر إلاّ بأنْ تجتمع كلُّ الجهود والطَّاقات بمختلف مستوياتها وأنواعها في جبهة المقاومة.

وماذا يؤخِّر الإنسان المسلم عن الإسهام في المقاومة عن دينه وأمَّته؟
بتصوُّر أنَّه لا خطر على الإسلام[٤٣]؟ هذا سذاجة.
بتصوِّر أنَّ الواجب واجب الآخرين؟، ويأتي السُّؤال هنا: أين إسلامي، وأين إسلامك؟
بتصوُّر كفاية المتصدِّين؟ لا تقدير دقيق في هذا الرَّأي[٤٤] على الإطلاق، وهذه رؤية مضلِّلة.
أمن استخفاف بأمر الله سبحانه؟ إنَّما هو استخفاف بالنَّفس، وإضرار بها، وتعريضها لسخط الله تعالى القهَّار الجبَّار.
أمن خوف على رزق أو أجل؟ لا رازق غير الله تعالى، وأجلُّ كلِّ نفس بيد بارئها، وليس غير الله تعالى من بارئ.[٤٥]

---

٤٣. هذا التَّقاعد، هذا التَّقاعس، هذا الوقوف هل هو بتصوُّر أنَّه لا خطر على الإسلام؟
٤٤. وهو أنْ نقول بأنَّ هناك كفاية متصدِّين؛ لمواجهة الغزو الثَّقافيِّ والحضاريّ، وما إلى ذلك.
٤٥. خطبة الجمعة (٣٨٣) ٧ رمضان ١٤٣٠هـ - ٢٨ أغسطس ٢٠٠٩م.

•الوعي بواقع المعركة

المعركة متنوِّعـة، وبعض المعارك تلتفت إليها الجماهير، وبعض المعارك يمكن أنْ تخفى على الجماهـير، والمعارك التي لا تظهـر للعيان أخطر على مستقبل الأمَّـة، والإنسان والدِّين من معركة مكشوفة.

الآن تتحفَّـز المشاعـر، الآن تغلي النُّفوس، الآن يتوق النَّاس للشَّهـادة، لأنَّ هناك قرعَ طبولٍ للحرب، هذه الحرب المكشوفة تستثير ملايين النَّاس، تحشد همم النَّاس على طريق المواجهة، أمَّا المعركة غير المرئيَّة كالمعركـة الثَّقافيَّة، الغزو السُّلوكيُّ، الغزو الفكريُّ، الغزو المفاهيميُّ، الغزو الذي يحوِّل العادات بصورة غير مرئيَّة، هذا الغزو لا يواجه إلا من النُّخب، من النُّخب الأكـثر وعيًا، من النُّخب الأشدُّ إصرارًا على متابعة السَّاحـة وقراءتها قراءةً مبكِّرة، العيون التـي تكتشف مخاطر المعارك الهادئة غير المكشوفة عيونٌ قليلـة وبصائر قليلة، أمَّا الحرب المكشوفة، فلا يحتاج التَّعرُّف عليها إلى عناء.

المطلـوب من جماهير الأمَّة أنْ تكون حاضرةً وعيًـا، أنْ تكون مرهفةً حسًّا، أنْ يكون شعورها حاضـرًا فاعـلاً، وأنْ يكون لهـا مقياس دقيق يعطي إنـذارًا مبكِّرًا بالنِّسبـة للمعارك الأكثر خطـرًا، المعارك الخفيَّة، معارك الثَّقافة، ومعارك التَّغيير النَّافذ للعقول، والنُّفوس والأرواح، معركـة أمريـكا، معركة الغرب، معركة الطُّغـاة في كلِّ العالم، معركة الكفـر العالميِّ، معركة يوميَّـةٌ مـع كلِّ مَن يحـاول أنْ يجد موطِئ قـدم على درب الاستقامة، معركـةٌ مستمرة طوال الوقت تواجهـك بالكلمة المسمومة، بالمشهـد المسموم، بالفكرة المسمومـة، بالتَّقليد الجديد الذي يسلخك عن هويَّتك، تواجهك بهذا وتصبُّ على رأسك وفي روحك كلَّ ضرٍّ وخبُث أربعًا وعشريـن ساعـة، عليك أنت وولدك وابنتـك وأخيك الصَّغير، وفي الأغلـب لا يلتفت ملايين النَّاسـ إلى مثل هذه المعركة، وما المعارك الدَّمويَّـة العسكريَّة إلا مقدِّمة لتُهيِّئ؛ لمعارك أكبر وهي من النَّوع الفكريِّ والثَّقافيِّ والرُّوحيِّ.

أيُّهـا الإخوة الكرام، لا تعادوا أمريكا يومًا وتصالحوها دهرًا، ونحن نفعل ذلك، نحن نعادي أمريكا يومَ أنْ تشهر أمامنا السَّيف، ويوم أنْ تتحدَّانا بالقنبلة، أمَّا يوم أنْ تصدِّر لنا أفكارها السَّاقطـة وأخلاقيَّاتهـا المهترئـة فنحن نفتح باعنـا نستقبلها بكلِّ سرورٍ وبـكلِّ ترحيب، إنَّه موقـفٌ خَطـأ، إنَّه موقفٌ سـاذج، إنَّه موقفٌ أبله، مـن المؤسف أنْ ترتكبه الأمَّـة، وأنْ تقع في مستنقعه، نريد مواجهةً دائمًا مستمرَّةً لأمريكا.

مقاطعــة سلع، مقاطعــة فكر، مقاطعة تقاليــد، مقاطعة موضات، إنَّه عــدوٌّ لا يصدِّر لك إلا السيِّــئ المكشــوف، أو السيِّئ المبطَّــن، فاحذر أمريكا، احــذر إسرائيل تكــن أقرب إلى خطِّ الحسين عليه السلام الأمين النَّظيف الصَّادق.[٤٦]

• الثِّقة بالنَّفس وعدم التَّبعيَّة العمياء

لــكلِّ أمَّة طابعها العمليّ الخاص المُستَلهــم من حضارتها ودرجة وعيها وهادفيَّتها، ورشدها، ومستوى جدِّيَّتها، ورساليَّتها.

وحضــارة هذه الأمَّة إلهيَّة، ووعيها كبير، ورؤيتهــا متجذِّرة، وهادفيَّتها عالية، ورشدها بالغ. وهــي أمَّة رساليَّة جادَّة على طريق صنع الإنسان الكبير والأوضاع الحياتيَّة المتقدِّمة، وتثبيت المسار القِيَمي الكريم القويم العادل الوضيئ في هذه الحياة، والاتِّجاه الصَّاعد بعقل الإنسان وقلبه، وإرادته، وسلوكه على صراط ربِّه العظيم.

إنَّهــا أغنى الأمم في مستوى انتمائها، وإرثها الحضاريّ، ودورها الرِّساليّ الضَّخم، ورموزها الشَّامخة، وقِيمها الخُلقيَّة الرَّفيعة ودينها القويم.

وأمَّــة هي الأغنى في كلِّ ذلــك لا تستورد الخبيث، ولا تهبط إلى مستــوى الإسفاف، ولا تكون إمَّعــة، ولا تركض برجلها وراء كلِّ ساقــط، ولا ترفع صوتها مع كلِّ ناعــق، ولا تقبل أنْ تكون سوقًا مفتوحًا لكلِّ العادات والتَّقاليد من مبتكرات الجاهليَّة، ولا تسرع في استقبال كلِّ جديد وإنْ سفّ، ولا تُخترق لكلِّ المحاولات الخبيثة.

أمَّــة بهذا المستــوى تجدِّد وجودها وحياتها بوعي على خطِّها الحضــاريّ الكريم، وتعيد إنتاج ذاتهــا على نفــس الخطِّ صاعدة صامــدة، وتحقِّق كلَّ يــوم قفزة على هــذا الطَّريق، وتنجز نجاحات مستجدة متوالية، وتنتقي الجيِّد ممَّا تعرضه سوق الفكر، وسوق الثَّقافة والسياسة والاجتمــاع وغيرها، وتختــار لنفسها بوعــي لا أنْ تعطي بيدها لخيــارات الآخر ومخطَّطاته ومؤامراته، وصياغاته في سذاجة واستسلام.

وقــد نهت الأحاديث المعصوميَّــة الشَّريفة من ظاهرة فقد الوزن، وعــدم الإحساس بالذَّات، والثِّقة المفرطة في الآخر، أو التَّبعية البلهاء لكلِّ ما يكون عليه، ولكلِّ ما يدخل فيه، ويبتلي به،

---

٤٦. كلمة ليلة العاشر من محرم الحرام ١٤٢٤هـ بمسجد الخواجة في المنامة.

ويقـع في مهاويه، وذلك بمثل هذا الحديـث «لو دخلوا حجر ضبّ تبعتموهم»[٤٧] دخلتم جحر الضَّـب على ضيِّقـه ومنافاته لسلامتكم، ومصلحتكم المعنويَّـة والماديَّة وحجمكم الكبير كما دخلـوا، وليـس عن وعي ولكنْ لأنَّهم دخلوا، وذلك لأنَّكم تعيشـون نظرة مخدوعة لهم تريكم إيَّاهـم كبارًا عظماء وأنَّ كلَّ ما يأتـي عنهم صحيح وتقدُّميٌّ وموثوق، وتعيشون واهمين نظرة احتقار لأنفسكم وحضارتكم ودينكم، وكلّ تراثكم العظيم، ورموزكم الفذَّة.
مـن المؤلم جـدًّا أنْ صرنا أمَّة مهزوزة الثِّقـة بنفسها، فاقدة للوزن، محتقـرة لذاتها، تعيش الشُّعـور بالحاجـة في كلّ شيء عند الآخر، وتتبعه في رديئه قبـل جيِّده - على أنَّه ليس له من الجيِّد ما لا يقدِّمه لها دينها وشريعتها -، وتدخل معه كلّ مدخل.

ولـو شرّق لشرّقت بتشريقـه، ولو غرّب لغرّبت بتغريبه، وإذا لبـس لبست ما يلبس، وإذا أكل أكلت ما يأكل، وإذا شرب شربت ما يشرب، وإنْ اكتسى اكتست، وإنْ تعرى تعرّت من غير أنْ تطرح سؤالاً واحدًا على نفسها في هذه التَّبعية المجنونة وآثارها المدمِّرة.
أمَّـا الآخر، فيهـبُّ فزعًا محاربًا بشدَّة لأيِّ جديد من فكر، أو سلـوك، أو لباس، أو غيره يفِد دياره من بلاد الإسلام وحضارة الإيمان والقرآن الكريم[٤٨].
...إنَّ أسوارنا مفتوحة، وقلاعنا مفتوحة، وأسواقنا مفتوحة.
ويدخـل الغريـب والممجوج والضَّار المهلك، والسَّاقط الرَّديئ مـن العادات والتَّقاليد من دون رخصة، وبلا حواجز.

والمجتمع وحتى في أوساطه الملتزمة قد يتلقّى كلّ ذلك بسذاجة بينما قد يكون وراء هذا الأمر بصورة مستقربة جدًّا اختراقات خطيرة وخطيرة لا يشعر بها الكثيرون.
إنَّ هنـاك مَن يخطّط وبمهارة ومكر خبيث؛ لتذويب أخلاق المجتمع، وتمييعه، وانفصاله عن قواعد السُّلوك الإسلاميّ، وأخلاقه، وآدابه.
وهـذا الغزو السُّلوكيُّ هو الأقل كلفة، والأكـثر شيوعًا، والأسرع نفوذًا من الغزو الفكريِّ، وهو البـاب المفتوح، والطَّريق المـؤدِّي إليه، فإذا سقط المجتمع الإسلامـيُّ أخلاقيًّا لم يعد قابلاً؛ لهضم الفكر الإسلاميّ وتقبُّله، والصَّبر عليه مع ارتفاع قامته.

---

٤٧. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ج١ ص ٣٣٤، والحديث منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤٨. قطعة قماش على الرأس في الغرب تثيره، وتجعله يشنُّ حربًا عليها.

وهنـا يبدأ الانفصـال عن هذا الفكـر؛ لاستثقال النَّفس لمقتضياته وتكاليفـه، ويبدأ تبرير النَّفس حتى لا تعيش العذاب الدَّاخلـيّ والمفارقة المؤلمة لهذا الانفصال بمناقشة الفكر نفسه والتَّشكيك فيه، ثم مواجهته.

الفكر الإسلاميّ له مقتضيات تتحمَّلها النَّفوس السويَّة، أمَّا النُّفوس التي فقدت وزنها، فإنَّها ليس لها كاهل يحمل التَّكاليف الإسلاميَّة.

والكلمة الأخيرة: يا أيُّها المؤمنون، أوقفوا الهرولة وراء كلّ مستورد خارجيّ، ومنتج محلِّي من الفكر والسُّلوك قبل التَّمحيص والدِّراسة المعمنة.[٤٩]

• الإرادة ومقاومة العادات السيِّئة

والعـادات حسنـة أو سيِّئة مكوِّنٌ مهمٌّ مـن مكوِّنات الشَّخصيَّة الإنسانيَّـة على المستوى الفردِ والمجتمـع، وكلُّ مكوِّنـات شخصيَّتنـا ومنهـا العادات تشـارك في نمط حياتنـا، وتعاملنا مع الأشياء والقضايا والآخرين، وتقف وراء نجاحنا أو فشلنا في مختلف الميادين.

وهنـاك علاقة بـين الإرادة والعادة، ففي مرحلـة بناء العادات سيِّئة كانـت أو حسنة، يمكن لـلإرادة أنْ تتَّجه؛ لبناء عـادة حسنة أو لبناء عادة سيِّئة، فبـإرادة الإنسان أحيانًا يُدْخِلُ في تكوين شخصيَّته ما هو بمنزلة الطَّبع من العادات، وذلك للتَّمكين لها من نفسه.

والاستمرار على العادة قد يكون استمرارًا إراديًّا، فمع الالتفات إلى العادة، وأثرها في النَّفس، وما تؤدِّي إليه من ضغط أو توجيه في اتِّجاه الباطل أو الحقِّ قد يعطي لها الإنسانُ أنْ تمكث في داخله، أنْ تترسَّب في داخله، أنْ تغوص في داخله، أنْ تتحوَّل إلى شيء من شخصَّيته.

ويأتـي حينٌ أنَّ العادة تتسلَّل ابتداء إلى الإنسـان من غير انتباه، ومن غير أنْ تكون له الرُّؤية الواضحـة عمَّـا يدخـل من جديد علـى شخصيَّته، وهـذا التَّسلُّـل إنَّما يأتـي في حالة غياب لـلإرادة، أو في حالة غيـاب للرُّؤية، وقد يستسلم الإنسان للعادة لانهزام الإرادة، أو سقوطها وخسارتها - الإرادة - أمام طغيان العادة وسلطانها على النَّفس.

وموقـف آخـر للإرادة من العادة وهو موقـف التَّحرر، موقف التَّمـرُّد، موقف مواجهة العادة بقوَّة؛ من أجل التَّخلُّص من قهرها وسوئها.

وكثـيرًا ما تواجـه الأمم والشُّعوب غزوًا فكريًّـا وثقافيًّا وسلوكيًّا عبر العـادات المتسلِّلة، فقد تواجـه الأمَّة غـزوًا من هذا النَّوع، أو من ذلك النَّوع لا بواجهتـه الأصل، وإنَّما عبر مجموعة

---

٤٩. خطبة الجمعة (٣٩٩) ٢ ربيع الثاني - ١٩ مارس ٢٠١٠م.

من العادات التي تصبُّ في صالح الغزو الثَّقافيِّ، أو الغزو السياسيِّ، أو أيِّ نوع آخر من الغزو، وتأتي هذه العادات بصورة متسلِّلة، وعبر طرق مختلفة؛ لتدخل في حياة الأشخاص، وفي حياة الأسر، وفي حياة المجتمعات، وكثيرًا ما تكون البوَّابة لهذه العادات هي عادات المساحة الاجتماعيَّة من مثل موضوع الزَّواج، حفلات الزَّواج، حفلات الأفراح عمومًا، حفلات الأحزان، وما إلى ذلك.

والموقف القويُّ للإرادة يتمثَّل في البناء للعادات الصَّالحة، وأنْ أتعمَّد بناء عادات صالحة تعطي لشخصيَّتي طابعًا جديدًا من القوَّة والمتانة، وتيسِّر لي سبل التَّعامل مع الخير، والأخذ به من غير معاناة ومكابدة، فإنَّ العادات الحسنة كثيرًا ما تسهِّل على الشَّخصيَّة سبل الفضيلة، وتكسبها مرونة التَّعامل على طريق الخير وبصورة شبه تلقائيَّة من غير أنْ تواجه صعوبات على هذا الطَّريق.

ويتمثَّل الموقف القويُّ للإرادة في الاستمرار على الصَّالح من السُّلوك في القول والعمل، وأنْ يحرص الإنسان على الإبقاء على ما اكتسبه من عادات قد يكون اكتسابها عبر طريق طويل من المجاهدة والمكابدة.
ثم يأتي دور الإرادة القويّ في التَّحرر من السيِّئ من العادات، ومواجهتها مواجهة قويَّة فولاذيَّة، تخلِّص الشَّخصيَّة من موانع الصُّعود، وعوائق الكمال، فإنَّ العادات السيِّئة تمثِّل قيودًا وأغلالاً على الشَّخصيَّة في طريقها للتَّكامل.

ونحتاج للتَّعامل مع العادات ابتداءً واستمرارًا إلى وضوح الرُّؤية وصحَّتها، وأنْ تكون عندنا رؤية واضحة صحيحة تملك في نفوسنا حضورًا قويًّا فاعلاً، فإنَّ مَن يغفل يسقط في وَحلِ العادات السيِّئة، ولا يجد نفسه من بعد حين إلا وقد تغلغلت هذه العادات إلى أعماق شخصيَّته، وأصبحت مكوِّنًا من مكوِّناتها.

وإذا لم يكن للرُّؤية الصَّحيحة حضور كافٍ في النَّفس، فإنَّ العمل على استحضار هذه الرُّؤية مسؤوليَّة من مسؤوليَّات الإنسان الذي يعيش دورًا مسؤولاً في هذه الحياة، وأوَّل ما يتَّصل به هذا الدَّور هو أنْ يبني شخصيَّة إيمانيَّة قويَّة في غمار هذه الحياة، وفي ساحات صراعاتها.

والإرادة يمكـن أنْ تكتسب الحيويَّة والفاعليَّـة القويَّة مرَّة، ويمكن أنْ تعاني من خمول وذبول أخرى، والإنسان هنا - أيضًا - يقف أمام مسؤوليَّته الخاصَّة في الحِفاظ على الإرادة القويَّة وتنشيطها، وذلك عن طريق الممارسة العمليَّة المقصودة على الطَّريق الصَّحيح الإيجابيِّ.
والموقـف الضَّعيف هو دائمًـا الطَّريق المفتوح؛ لتسلل العادات السيِّئَـة، وللاستسلام للعادات المكتسبة من هذا النَّوع.[٥٠]

- **المبادرة قبل فوات الأوان**

وليعلم الجميع بأنَّ انهيار الأخلاق، وتركُّز ظاهرة التَّحلُّل السُّلوكيِّ، وانتشار الرَّذيلة، وخسارة الأمـن الخُلقي تستتبع خسارة كلّ أمن آخر، وتسلـب الرَّاحة والاستقرار من المجتمع، وتنشر الفوضى، وتسقط قِيمة الرَّخاء، وتحوِّل الدُّنيا إلى عذاب، والحياة إلى شقاء.

وكفى رادعًا للمؤمن من أنْ يطلب المال بخسارة دينه، ودين أسرته وأهله وعشيرته ومجتمعه، وبما يسبِّب نشر الفساد، وتلوَّث الأعراض أنْ يكون في ذلك غضبُ الله تعالى وعقابه الأليم.
وعـن موقف المجتمع مجتمـع المدينة، ومجتمع القريـة، والحي من هـذه الظَّاهرة المجاهرة بالمعصية الفتَّاكة بكلِّ قوى الدِّين لنا كلمة:
قبـل أنْ يتَّسع الخِرق على الرَّاقع، وقبل أنْ تخرج الأمـور عن السَّيطرة،وقبل أنْ يكثر أنصار التَّبـذُّل الخُلقـي والانحدار السُّلوكـي، وقبل أنْ يطغى صـوت الشَّيطان، وقبـل أنْ تشذّ كلمة المعـروف وتمجّ، وقبل أنْ يكون المعـروف منكرًا والمنكر معروفًا، وقبل أنْ تأنس النُّفوس المنكرَ وتستحليه، وتستوحش المعروف وتنفر منه، وقبل أنْ يعمَّ التَّبذُّل والتَّميُّع والانحدارة الخُلقيَّة، وقبل أنْ نتحوَّل إلى مجتمع آخر لا يقيم وزنًا لأمر الدِّين، وقبل أنْ تعلو كلمة الفساد، وتتوارى خجولـة كلمة الصَّلاح، وقبل أنْ تكون صرخـة الأجنبيَّة المتخلِّعة مدوِّية، وصاحِبة المبادرة في الشَّـرِّ والموقف القـويّ في ساحتنا، وقبل أنْ نعيش معاناة الأحيـاء المؤمنة الشَّريفة في المنامة من فساد الأجانب والأجنبيَّات.

---

٥٠. خطبة الجمعة (٣٢٩) ٩ جمادى الثاني ١٤٢٩هـ - ١٣يونيو ٢٠٠٨م.

قبل ذلك كلّه لا بدَّ من كلمة من المجتمع، لا بدَّ من إنكار، لا بدَّ من رعاية حقِّ الدِّين والشَّرف والكرامة، لا بدَّ من حماية للوضع الخُلقيّ، لا بدَّ من مواجهة ظاهرة التَّحلُّل واللِّباس الفاضح والعري السَّافر، وعرض الأجساد المخزي في الشَّوارع، لا بدَّ من هذه الكلمة وهذه المواجهة في كلِّ القُرى والأحياء، ومِن كلِّ ملتزم بإسلامه وملتزمة.

والكلمــة قد تكون كلمة تنبيه ونصح وتوجيه، أو كلمة اعتراض ورفض، أو كلمة إنكار وتوبيخ. ولــو تعالت الأصوات وتكثَّرت بهــذه الكلمة لأوقفت المنكر، وفرضت عليه التَّراجع والانسحاب من السَّاحة.
أمَّــا إذا تحوَّلــت أيُّ عمارة، أو أي بيــت، أو شِقة إلى وكر من أوكار الفســاد والرَّذيلة، فلا بدَّ مــن التَّحرُّك السَّريع من كلِّ أهل المنطقة الغيوريــن على دينهم، وعرضهم، وطهارة أرضهم بسلوك القنوات الرَّسميَّة لرفع المنكر، وإلا فبالمواجهة المباشرة بعد ظهور اللامبالاة والتَّواني والتَّسويــف من الجهة الرَّسميَّــة التي يخصُّها الأمر، مع الحرص على التَّجافي عمَّا فيه ضرر وإضرار بكلِّ ما أمكن.

والمؤكَّد أنَّ اجتماع الكلمة على إنكار المنكر لا يُبقي له أثرًا أبدًا.
وكلُّنا يعرف أنَّ أيَّ أخلاقيَّة غريبة مستنكرة، وأيَّ تسلُّل للسُّلوك الهابط يريد أنْ يجرِّب نفسه في بيئــة جديدة، يبدأ تجربتــه في حذر، وتوجُّــس، وبالتَّدريج اختبارًا للمــزاج العام، وردّات الفعل وجودًا وعدمًا، ومستوى ومدى، وسعة وضيقًا، وصمودًا وتراجعًا ونشاطًا وفتورًا.

وقــد تأخــذ التَّجربة حالة تراجع مؤقَّــت بغرض تهدئة الأجواء المستثــارة، ثم تعاود الاختبار للوسط الاجتماعيّ المستهدف، وإذا وجدت المناخ مناسبًا، أو وجدت تريُّثًا في ردِّ الفعل أبدت ظهورًا أكبر، وتنشَّطت بدرجة أعلى.

أمــا إذا اشتدَّ عــود الظَّاهرة، وترسَّخت قدمها قاومت بشراســة، وواجهت بإصرار حتى إذا غلبت صارت تطالب بطرد ما هو أصل ومقدَّس عند المجتمع سابقًا والذي أوهن موقعه تخلِّي أنصاره، وتأخُّر كلمة المعروف والنَّهي عن المنكر التي أمر الله سبحانه بها عن وقتها المناسب.
إنَّ المجتمــع يمكن أنْ ينسى ذاته، وعلاقته بأخلاقيَّتــه، وصلته بدينه، وأنْ ينسلخ من هويَّته، ويتنكَّر لها إذا تراخى في قضيَّة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

وإنَّ ارتفـاع صوت المنكر، وتشديده النَّكير على حالة المعروف أمر ليس ببعيد على أيِّ مجتمع إسلامـيٍّ تتراخـى مواجهـة المنكر فيه عن وقتها، ويُتـاح فيه للمنكر أنْ يثبِّـت قدمه، ولنا في الأصوات الجريئة الوقحة التي قد انطلقت من بعض أعضاء الشُّورى وغيره لحماية الخمرة، وإسناد وجودها في هذه الأرض الإسلاميَّة المباركة رغمًا على دين الله تعالى والمؤمنين لعبرة كافية في هذا المجال.

وإنَّها لكلمات قاسية على الضَّمير الإسلاميِّ والرُّؤية الشَّرعيَّة، وعلى دين الله تعالى قيلت في مجلـس الشُّورى نصرة للخمرة؛ فقد جاءت كلمات تلقي بالفتوى بعيدًا عن التَّدخُّل في ساحة الحياة وميدان التَّشريع لهـا وسنّ القوانين، وتحاسب القضايا وتحاكمها على أساس وضعيّ خالصـ ونظـرة بشريَّة صرفة من غير إقامة أيِّ وزن أو قِيمة للحكـم الشَّرعيِّ وإنْ كان ثابتًا على مستوى القرآن الكريم، وسُنَّةُ الرَّسول ﷺ، وإجماع المسلمين.
وجـاءت تُندِّد وتعيب علـى الرَّجوع إلى الفتوى ورأي الدِّين في قضايا الحياة، وما يمسُّ حركة المجتمع، وفي سياسته واقتصاده.

إنَّهـا العلمانيَّة الصَّارخـة، وصوتها المجلجل في مجلس الشُّورى، والـذي يلاحق ويحارب ولو الشَّمة الدِّينيَّة في مجال التَّشريع لحركة المجتمعات.

إنَّه صوت يلتقي مع إلغاء أمريكا هذه الأيَّام ليوم الصَّلاة الوطني الذي كان معمولاً به عندهم منذ أوائل خمسينات هذا القرن خوفًا من أنْ تمسَّ قدسيَّة الفصل بين الدِّين والدَّولة.

والظَّاهـر أنَّه يُراعى في تشكيل مجالس الشُّـورى المعيَّنة في عدد من البلاد الإسلاميَّة أمران مهمّان للحكومات: ضمان تغليب الرَّأي الحكوميّ والمصلحة الحكوميَّة على مصالح الشُّعوب، وضمـان تغليـب الرَّأي العلماني على الدِّين كلَّما احتيج إلى ذلـك، وهي حاجة شبه دائمة في سياسة الكثير من الحكومات القائمة.

وعلـى كلٍّ فقد أدَّى مجلس الشُّـورى دوره المطلوب في الإبقاء على إغراق السَّاحة في البحرين بالخمرة وكوارثها ومآسيها، فشكرًا لك يا مجلس الشُّورى!!![٥١]

٥١. خطبة الجمعة (٤٠٦) ٢٢ جمادى الأولى ١٤٣١هـ ٧ مايو ٢٠١٠م.

ثانيا: أدوار المواجهة

• دور العلماء في المواجهة

في كلِّ بلـد عامرٍ بالعلماء كالبحرين يوجـد تاريخيًّا مجلسٌ علمائيٌّ - سُمِّي بهذا الاسم أو لم يسـمَّ -، والعلماء في البحرين، وفي كلِّ بلد مسلم يتواجدون فيه هم تاريخيًّا مرجع النَّاس في قضايا دينهم، ومفزعهم في قضايا دنياهم عند الملمَّات، وتاريخهم يشهد بتصدِّيهم الفرديِّ والجماعـيِّ لحلِّ تلك القضايا والأزمـات، ويشهد باجتماعهم، واجتمـاع كلمتهم كُلَّما تطلب الأمر ذلك، والمتخلِّف شاذٌّ.

وللمجلس ثلاث قضايا:

أ- تعليم الدِّين والشَّريعة.

ب- التَّبليغ الإسلاميُّ.

ج- الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

وهـي وظائـف إسلاميَّة واجبـة، وفرائض ثابتة جَزمًا بكتـاب الله تعالى، والسُّنَّـة المتواترة، وإجمـاع المسلمين، وسيرتهم العمليَّـة، وعلى هذه الوظائف مدارُ وجـود الإسلام واستمراره على مدى الأجيال، وتعطيلها تعطيل له، يوم أنْ لا تعليم للدِّين والشَّريعة، ولا تبليغ للإسلام، ولا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، ولا جهة علمائيَّة ترعى هذا كلَّه، فالإسلام غير موجود. ولا فاعليَّـة كافيـة اليوم لهذه الوظائـف بلا اجتماع العلماء، والتَّنسيـقِ بين جهودهم في هذا المجـال، والعـودةُ إلى الجهود الفرديَّة المبعـثرة والارتجاليَّة، وغـير المتواصلة في هذا المجال قرار عمليٌّ بخذلان الإسلام، وفسحٌ لطريق الغزو الثَّقافيِّ الأجنبيِّ للتَّفرُّد به، والقضاء عليه. ولا يُتوقَّـع من أيِّ مسلم يحـترم الإسلام، ويحرص عليه أنْ يعطـيَ التَّقدُّم والهيمنة والحكم لأمـر القانون ونهيه على هـذه الفرائض الثَّلاث لا أصلاً ولا تفصيـلاً، وهي فرائض جليَّة لا قِوام للإسلام بدونها.[٥٢]

• دور الشُعوب في المواجهة

للحكومات دور وللشُّعوب دور في تركيز الأمر بالمعروف أو مواجهته، وفي نفي المنكر أو تركيزه، أيُّهما الغالب؟

لا شـكَّ أنَّ الحكومـات تملـك إمكانـات هائلـة، وتملـك الخـبراء والميزانيَّـات الضَّخمـة، والاختصاصيِّـين والخبراء؛ لتنفيذ مشاريعها، لكن مع ذلـك أؤكِّد لك بأنَّ الأمَّة التي ترفض

٥٢. خطبة الجمعة (٣٨٥) ٢٥ شوال ١٤٣٠هـ - ١٦ أكتوبر ٢٠٠٩م.

المنكـر تغلب الحكومـات، وأنَّ الحكومة المتصدِّية لنشر المنكـر لا تستطيع تنفيذ خططها إذا واجهت وعيًا، وإرادة صلبة، وتصميمًا من أيِّ شعب، وأيِّ أمَّة على محاربة المنكر.
وحتـى حكومـة كحكومة عليٍّ بـن أبي طالـب عليه السلام لا تستطيع أنْ تُركِّز المعـروف، وأنْ تنفي المنكـر إذا لم تجد تجاوبًا مـن الأمَّة، وقاومت إرادتها الشِّريـرة الإرادة الخيِّرة لعليِّ بن أبي طالب عليه السلام.

مـرَّة توجد الظَّاهـرة بقوَّة في منطقة مـن المناطق، فتحتاج مقاومتهـا إلى جهد كبير، ومرَّة تحـاول أنْ تجـد لها موطِئ قدم في منطقـة كالتَّرويج للمشي في الشَّـوارع من غير لباس فيه حشمـة كتعرية السِّيقان والصَّدر والرَّأس، وما إلى ذلـك، كلُّ ظاهرة بعدُ لم تنتشر الانتشار الكبير في القرى – مثلاً –، نستطيع أنْ نفتح لها الطَّريق والضَّوء الأخضر، ونستطيع أنْ نُشعل في وجهها الضَّوء الأحمر.

تنبيه من هذا، تنبيه من ذاك، تحقير للسُّلوك المنحرف، ولا يلزم من ذلك التَّحقير للشَّخص، كلمة «هذا أمر غريب»، «هذا أمر شاذٌّ» هنا ليس أمريكا، هنا ليس فرنسا، هنا ليس انجلترا، كلمـات، تنبيهات، تذكيرات خفيفة تتكاثر إلى المِائة، والمِائتين لا يمكن أنْ تثبت معها ظاهرة متركِّزة فضلاً عن ظاهرة تبحث عن موطِئ قدم لها في منطقة.

كلَّمـا كثر النَّاهون عـن المنكر، الآمرون بالمعـروف كلَّما وَجد المعروف فرصتـه لأنْ يعيش في المجتمـع، وواجه المنكر الصُّعوبـة الشَّديدة في أنْ يكون له موطِئ قـدم، وكلَّما خَفَت الصُّوت كلَّما انتشر المنكر.
يريد منَّا الإسلام أنْ نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ومن السِّمات الرَّئيسة لهذه الأمَّة أنَّها أمَّة آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر.
بهـذه المناسبة يُلفت نظر الشَّباب (حفظهم الله تعالى) بأنَّ لبس ربع السِّروال، والتَّمشِّي في الشَّوارع ذهابًا إلى ساحة كرة القدم أو إيابًا منها، أو إلى أيِّ مكان آخر ليس في صالح الدِّين، ويجـب أنْ يعرف الشَّاب بأنَّ هذا يبعـد به عن الوقار وعن الحشمة، وعن أنْ تكون شخصيَّته محلَّ احترام الآخرين.
فـرق بين لباسـ ولباس، أنت تذهـب إلى وظيفة معيَّنـة فيُنظر في هيئتـك ولباسك، وتقَّيم شخصيَّتك من خلال لباسك وهيئتك.

وازنـوا أيُّها الشَّباب المبارَك بين هذا اللِّباس في درجة قربه للإسلام والشَّخصيَّة الإسلاميَّة وحشمتها ووقارها، وبين درجة قربه إلى لباس الطَّبقة العادية في الغرب.
ركِّزوا العرف الإسلاميَّ ما استطعتم، وانفوا المنكر ما استطعتم.[٥٣]

• دور الأسرة في المواجهة

«مَن قبَّل ولده كتب الله له حسنة، ومَن فرَّحه فرَّحه الله يوم القيامة، ومَن علَّمه القرآن دُعي بالأبوين، فيُكسيان حلَّتين يضيءُ من نورهما وجوه أهل الجنَّة»[٥٤].
التَّثقيـف الإسلاميُّ، التَّربية الإسلاميَّة، الهدى الإسلامـيُّ، الصِّيانة الفكريَّة المبكِّرة للولد، وضعـه على خطِّ الله تبارك وتعالى، تزويده بالزَّاد الثَّقـافيِّ والفكريِّ والإيمانيِّ الذي يحميه مـن الهجمة الشَّرسة والغـزو الفكريِّ الظَّالم أمرٌ من واجب الآبـاء والأمَّهات، ولا فكاك من هذا الواجب.

«جاء رجل إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: ما قبَّلت صبيًّا قطُّ فلمَّا ولَّى قال رسول الله ﷺ: هذا رجل عندي أنَّه من أهل النّار»[٥٥].
طبيعـة هذا السُّلوك طبيعة سلوك أهـل النَّار، هذا السُّلوك إذا استبـدَّ وتركَّز واستولى على ضمـير صاحبه، وعلـى قلب صاحبه، وخلـق جفوة وقسـوة سارية في سائر مسـارب الحياة ودروبها، فإنَّ مآل صاحبه إلى النَّار.
هـــذا السُّلـوك ما لـم يُكفّر عنه، وما لم تكن حسناتٌ تغلبـه وتكبره، فإنَّه يقود صاحبه إلى النَّار.[٥٦]

أهـل البيـت عليهم السلام وهم أهل بيت العصمة يدركون أهمية صناعة الطَّفل، وأنَّ رجولة الإنسان مـن طفولته، ولن يأتي الطِّفل رجلاً مستقيمًا ما لم يوضع في طفولته على الطَّريق المستقيم، هذا غالبًا.
إذا أردته رجلاً قويمًا، فلا بدَّ أنْ تقوِّمه أيَّام الطُّفولة.

---

٥٣. خطبة الجمعة (٣٠٣) ٢٨ شوال ١٤٢٨هـ - ٩ نوفمبر ٢٠٠٧م.
٥٤. ميزان الحكمة ج١٠، ص٦٩٨.
٥٥. المصدر ص ٧٠٠.
٥٦. خطبة الجمعة رقم (٢٥٤) ١٩ شهر رمضان المبارك ١٤٢٧هـ - ١٣ أكتوبر ٢٠٠٦م.

إذا أردت لابنك الانتماء العقيديَّ الصَّحيح، وأنْ يكون من أصحاب الرُّؤية الإسلاميَّة المركزَّة، وأنْ تحميه من التَّيَّارات الفكريَّة والتَّيَّارات السُّلوكيَّة المنحرفة، فعليك أنْ تملأ روحه، أنْ تملأ عقله، أنْ تملأ نفسيَّته بالزَّاد الطَّاهر النَّقيِّ الصَّحيح مبكِّرًا.

ذات الإنسان فكرًا، روحًا، نفسيَّةً لا يمكن أنْ تبقى فارغة، لا بدَّ لها من زاد، وهذا الزَّاد قد يكون من الزَّاد المسموم، وقد يكون من الزَّاد النَّقيِّ، ولدك لن ينتظرك حتى العشرين؛ لتخاطبه بالإسلام، وبالمفهوم الصَّحيح، وبالرُّؤية السَّليمة، لن يصل إلى سنِّ العشرين إلا وقد تكوَّن فكريًّا وسُلوكيًّا، ونفسيًّا على أيِّ درب من الدُّروب، فهي المسؤوليَّة الكبرى التي تجعلنا نختار لأبنائنا المدرسة، والمسجد، والبيئة، وأنْ نحوِّل البيت إلى مدرسةٍ خاصَّةٍ في مثل هذه الأزمان، مدرسةٍ تقدِّم لهم دروس العقيدة، ودروس الخُلق القويم، ودروس الولاء لله تعالى، ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ولأئمَّة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولأولياء الله تعالى في كلِّ يوم.

ما لم نفعل ذلك فأبناؤنا شيوعيُّون، أبناؤنا علمانيُّون، أبناؤنا انحلاليُّون، أبناؤنا أعداء لدين الله تعالى، أعداءٌ لمدرسةِ أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهم الذين سيكون القضاء على الإسلام على أيديهم.

وطفلك اليوم أنت مُغالَبٌ عليه في بيتك، ومنذ نعومة أظفاره مُغالَبٌ عليه في المدرسة، مُغالَبٌ عليه في البيئة العامَّة، مُغالبٌ عليه في كلِّ مراحل نموِّه، فلننتبه، فإنَّ المسألة أخطر ممَّا نحن عليه من حساب.[٥٧]

٥٧. خطبة الجمعة (٤٠) ٢٠ شوال ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢/٤/١م.

•الاستراتيجيَّة الدفاعيَّة

أولا: الفقهاء حصوننا المنيعة

عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدُّها شيء»[٥٨].
وفي الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إذا مات المؤمن... ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدُّها شيء لأنَّ المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها»[٥٩].
...وهنا تُقدِّم لنا الأحاديث الشَّريفة الفقيهَ حصنًا من حصون الإسلام يقوم مقام حصن المدينة وسورها الذي يحميها من الغزو والعدوان.

الأمَّةُ أيُّ أمَّة مستهدفة لأمم أخرى، حكومات الأرض، وأمم الأرض وبأخلاقيَّات الأرض، وتوجُّهات الأرض همُّها التَّوسُّع والغزو والعدوان، ومن أخطر أنواع الغزو - كما تعرفون - غزوٌ يفصل الأمَّة عن هويَّتها؛ لتهون على نفسها، وتهون نفسها عليه، وهو الغزو الذي يريها أنَّها حقيرة، صغيرة دونيَّة، وإذا غزا هذا الشُّعور شخصًا أو أمَّة سقط ضحيَّةً للآخرين، فما أسهل على الإنسان فردًا كان أو مجتمعًا، أو أمَّة أنْ يبيع نفسه بأرخص الأثمان إذا سقط في نظر نفسه، وهانت عليه نفسه.

والأمَّة التي تشعر بهوان خطِّها، وبدونيَّة انتمائها هي أمَّة تكتنز شعورًا بالحقارة، وشعورًا بالدُّونية لا يقف بها دون أنْ تُستبعد وتُذلَّ وتخدم الآخر.

هذا اللَّون من الغزو حُماةُ الأمَّة منه وجنودُها هم الفقهاء، الغزو الفكريُّ، الغزو الحضاريُّ حماة الأمَّة منه، وذادة الأمَّة فيه هم الفقهاء الذين مرَّ وصفهم، وأيُّ غزو آخر - وكما تعرفون - من تاريخ هذه الأمَّة في ليبيا، في الجزائر، في مصر، في إيران، في العراق، في أفغانستان، في بلدان أخرى كالغزو العسكريِّ كان الفقهاء في مقدَّمة أبناء الأمَّة وجنودها الذَّائدين عن حماها، وعن دينها، ومصالحها في وجهه.

فإذًا نحن أمام حالة واقعيَّة نشهدها حاليًّا، ونعرفها تاريخًا، وهي أنَّ الفقهاء حصون الأمَّة. هم حصون، حصن بعد حصن، واحدهم حصن، فإذا كثروا كثرت الحصون، وقد يكون

---

٥٨. ميزان الحكمة ج ٧ ص ٥٣٥.
٥٩. المصدر نفسه.

الواحـد حصنًا، بينمـا قد يكون العشرة حصنًا، وذلك راجـع إلى المستوى ودرجة الإخلاص والأمانة والصِّدق والدِّين.

هذا الفقيه الحصن إذا مات ظلَّت الثَّغرة مفتوحة، أو انهدم حصن من بين حصون الإسلام والأمَّة.

مـن يسـدُّ هذه الثَّغرة؟ فقيه آخر، وهـذا يفرض المسؤوليَّة على الأمَّـة أنْ لا تكفَّ عن تخريج الفقهاء العدول الصَّالحين، وإلا انهدم كيانها، وذهبت في مهبِّ الرِّياح.

المدينة بلا حصن من أيِّ لون لا ضمان لبقائها.

الآن الدُّرع الصَّاروخيُّ الذي تسعى إليه أمريكا حصن، وكان الجدار المحيط بالمدينة حصنًا، اليـوم القوَّة النَّوويَّـة، والسِّلاح الرَّادع حصـن، وكلُّ ذلك حصون مرئيَّـة ومحسوسة، وعلى المستوى المادِّي، وهي إنَّما تحمي الأمَّة من حيث الوجود المادِّيِّ.

أما الحصون التي تحمي الأمَّة معنويًّا، وتعطيها القوَّة الماديَّة - أيضًا - فهم رجال مخلصون واعون يحملون الأمانة ومسؤليَّتها بصدق وإخلاص.[٦٠]

ثانيًا: سلاح التَّفقُّه في الدِّين

«فقيه واحد أشدّ على إبليس من ألف عابد»[٦١].

عبـادة العُبَّـاد حـين لا تقوم على فقـه وعلى فهم لقيمـة الدِّيـن فهمًا يعطيهـا الاعتزاز به، والتَّمسُّـك به في أشدِّ الظُّـروف هذه العبادة لا تحمي النَّفس من المنزلقـات، وأمَّة ليس فيها فقيـه ما أسهل على الفكر الآخـر أنْ يستحوذ عليها، ما أسهل على الغزو الفكريِّ أنْ ينحرف بهـا عـن الطَّريق، والفقيه الذي أعنيه هو - كما تقدَّم - فقيـه يعرف الإسلام في كلِّ أبعاده، ويعتـزُّ به، وهذا الفقيه خيمة أمَّة، قلعة أمَّة، هذا الفقيه جيش عرمرم في وجه الغزو الفكريِّ والحضـاريِّ، هذا الفقيـه يُعطي الشُّعور بالعـزَّة والصُّمود والقوَّة والقـدرة على مواجهة أيِّ غزوٍ، كان غزوًا عسكريًّا، أم غزوًا حضاريًّا، أم نوعًا من الغزو.

أمَّـا جهلة يسجدون ويركعـون من غير فهم للدِّين، ومن غير فهـم لأساساته، وما عليه وزنه الكبير، ومن غير التفات إلى ما عند الأمم الأخرى، والفراغ من أنَّ ليس لذلك لها قِيمة أمام قِيمة الإسلام، فهؤلاء لا يقوم بهم الدِّين، ولا حفظ منهم لكيان الأمَّة.

---

٦٠. خطبة الجمعة (٢٩٢) ٢٨ جمادى الثاني ١٤٢٨هـ - ١٣ يوليو ٢٠٠٧م.

٦١. ميزان الحكمة ج ٧ ص ٥٣٤.

ولذلك علينا لكي نعتزَّ بأنفسنا، لكي نقوى، لكي نصمد أمام أيِّ غزو، وأمام الكلمات السَّاقطة من غير الدِّينيِّين أنْ نمتلِئ دينًا، أنْ نتوفَّر على فهم الدِّين، أنْ يصدق انتماؤنا لدين الله تعالى وعيًا وشعورًا غزيرين عميقين واسعين.

وفي سياق الحديث السَّابق تأتي الكلمة عن زين العابدين عليه السلام: «متفقّه في الدِّين أشدُّ على الشَّيطان من عبادة ألف عابد»[٦٢].[٦٣]

ثالثًا: منطلق التَّكليف والمسؤوليَّة الشَّرعيَّة

ما نسمِّيه بالعمل التَّطوُّعيِّ ممَّا يدخل في الدَّعوة إلى الله تعالى، ممَّا يدخل في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ممَّا يدخل في مواجهة الباطل والانحراف الفكريِّ والانحراف الخُلُقيِّ، ممَّا يمثِّل دفاعًا عن الإسلام، ومشاركة في تصحيح الفكر عند الشَّباب المسلم، وأخذًا بالنَّاس على الطَّريق، ومواجهة الكفر العالميِّ فيما يتعمَّده من غزو فكريٍّ وخُلُقيٍّ، وفيما يشنُّه من حملات تدميريَّة على نفسيَّة الإنسان المسلم وأخلاقه وكينونته الإنسانيَّة الرِّساليَّة، هذا الذي نسمِّيه عملاً تطوعيًّا هو من التَّسمية الخطأ مِائة في المِائة.

إنَّه جهاد واجب أيُّها الإخوة، دخولك المؤسَّسة الإسلاميَّة؛ لكي تشارك في الدَّفع بالعمليَّة التَّوعويَّة، أو السِّياسيَّة الصَّحيحة هو من الجهاد الواجب العينيُّ إذا لم يكن هناك العدد الكافي الذي يقوم بالوظيفة، هذه المشاركات الماليَّة والمشاركات الفكريَّة بالكتابة والإلقاء والاتِّصالات الثَّنائيَّة، والاتِّصالات الجماعيَّة؛ من أجل تركيز الوعي الرِّساليِّ هو من الواجب الكفائيِّ، فإنْ وُجد العدد الكافي الذي يقوم بالوظيفة سقط الواجب عن جميع المسلمين، وإنْ لم يوجد العدد الكافي والمسلمون قادرون على أنْ يُغطُّوا الحاجة فكلُّهم آثمون، عاصون لله (عزّ وجل)، فأنت القادر الذي لا تشارك عاصٍ لله سبحانه، آثم خائن لأمانة الدِّين، ونحن نسمِّي هذا العمل عملاً تطوُّعيًّا بالخطأ الصَّريح.

ماذا تعني الآية الكريمة ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٦٤]؟

---

٦٢. المصدر نفسه.

٦٣. خطبة الجمعة (٢٩١) ٢١ جمادى الثاني ١٤٢٨هـ - ٦ يوليو ٢٠٠٧م.

٦٤. آل عمران: ١٠٤.

الإسلامُ يُسحقُ، الإسلام يُجهز عليه، الإسلام يغرَّب، ويُغرَّب في بلاده، نُغزى في قعر دارنا، يملك علينا شبابنا وشاباتنا، يدخل السُّوء على كلِّ فرد فرد في منزله، الفحشاء تنتشر، العبث الأخلاقيُّ يمتدُّ في شرق الأرض وغربها، دين الله تعالى مُحارب، خطط ومؤامرات ومشاريع كلُّها تصبُّ مصبًّا واحدًا في مواجهة دين الله سبحانه، وأنت تستطيع أنْ تصحِّح بعض التَّصحيح، أنت تمتلك من الطَّاقات والمواهب التي رزقك الله تعالى إيَّاها ما يسمح لك بأنْ تدرأ عن الإسلام بعض الشَّرِّ، أيستحبُّ لك أنْ تدرأ هذا الشَّرَّ، أم هو الواجب؟!

إنّه واجب ومن أهم الواجبات ﴿... وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦٥].

هناك جهاد بالسَّيف، هناك جهاد بالكلمة، هناك جهاد بالمال، جهاد بالوقت، جهاد بالجاه، والجهاد في كلِّ السَّاحات، وكلِّ السَّاحات مستغرقة بالغزو، فيجب أنْ تستغرق، ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٦٦]، نجاهد بأموالنا وأنفسنا ولا نجاهد بكلمة؟!، ولا نجاهد بحضور احتفال؟!، ولا نجاهد بدفع أبنائنا إلى مشاريع التَّعليم الصَّيفيِّ الدِّينيِّ؟!، ولا نساهم في محاربة الموضات التَّحلُّليَّة؟! ولا تجاهد الفتاة في الرُّجوع إلى لبس العفاف والستر والكرامة؟! ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فالتَّطوُّع في هذه الأعمال لا يعني أصل المشاركة، وبالجهد المتعارف إنَّما يعني ذلك أمر واجب حتميٌّ.

التَّطوُّع في هذه الأعمال حينما تبلغ من الجهد حدَّ الطَّاقة يعني إلى أقصى حدٍّ. حينما تبذل أقصى ما يتَّسع له وسعك هذا يدخل في التَّطوُّع، أمَّا بذل الجهد المتعارف فهو واجب[٦٧]. [٦٨]

---

٦٥. المائدة: ٣٥.

٦٦. التوبة: ٤١.

٦٧. والجهاد يستبطن بذل الجُهد، وتحمل حاله الجَهْد والتَّعب والمشقَّة، فالأمر بالجهاد على هذا أمر يتحمل المشقَّة والنَّصب في سبيل الله تعالى.

٦٨. خطبة الجمعة (٦٣) ٢ ربيع الثاني١٤٢٣هـ - الموافق ١٤-٦-٢٠٠٢م.

الخلاصة

معًا في مواجهة الغزو غير الأخلاقيِّ

تتعرَّض السَّاحة الإسلاميَّة بطولها وعرضها إلى غزوٍ غير أخلاقيٍّ، غير مسبوق استهدافًا وتخطيطًا وطاقةً وسِعةً، وتعدُّد أساليب وتفنُّناً في المكر، ووصولاً إلى الفريسة، وتجنيدًا لعدد هائل من الشَّياطين والمخدوعين في كلِّ مكان[٦٩].
إنَّه زحفٌ خطيرٌ مدمِّر له ضحاياه التي يمكن أنْ تتزايد أعدادها بكثرة مع التَّساهل والغفلة والإهمال.

وخطرُ هذا الزَّحف عام لا يُستثنى منه بلد كبير أو صغير ولا فئة ولا مذهب، ولا يردُّ كيد هذا الزَّحف وخطره، ولا يدرأ منه بعد الله سبحانه إلا تكاتف عامٌّ، وتناصر جادٌّ في مواجهته.
وقد عُلِم أنَّ شعار المجلس الإسلاميِّ العلمائيِّ لهذا العام[٧٠] هو (معًا في مواجهة الغزو غير الأخلاقيِّ) في مواجهة الأخلاق، أو ما يشبهه.

وتفعيل هذا الشِّعار على الأرض وإنتاجيَّته المؤملة تتطلَّب هبَّة اجتماعيَّة شاملة يشترك فيها الكلُّ، وما دام الخطر يهدِّد الكلَّ، فالقضيَّة قضيَّة الكلِّ، وخوض المعركة، والإسهام الجادُّ في المواجهة مسؤوليَّة الكلِّ، والهزيمة مشتركة، والنَّصر في صالح الجميع[٧١].
والواجب واجب إلهيٌّ لا غبار عليه على الإطلاق.

هبُّوا رحمكم الله؛ لحماية دينكم، ودفع الأذى، ودرء السُّوء عن حماكم، وليبقَ هذا المجتمع مجتمعَ طُهرٍ وفضيلةٍ وشرفٍ ونزاهةٍ وكرامةٍ وإباءٍ على يد جهودكم وتعاونكم وتضافركم[٧٢]، ولِتُبَرْهِنُوا على وقفة مشرِّفة مع نداء الدِّين والشَّرف والكرامة والفضيلة.

---

٦٩. ومطلوب هذا الغزو أنْ تسقط الأمَّة في مستنقع التَّحلُّل، وتستسيغ جيفة الرذيلة، وتسترخص قيمة الأعراض، وتستولي عليها حالة التبدَّل، ويهون عليها أن يسحق شرفها ويميع شبابها وشاباتها، فتغلب على أمرها بدرجة أكبر.

٧٠. عام ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٧١. وفي صالح الأمن والاستقرار والعرض والشرف والكرامة والدين.

٧٢. هتاف جموع المصلين بـ(معكم معكم يا علماء).

ولتشاركـوا في مقترحات برامـج المواجهة، وفي التَّمويل عند الحاجـة والتَّفاعل والتَّنفيذ بكلِّ صورة ممكنة[٧٣].

وليبـذل المجلس ما أمكنه من طاقة؛ لإنجاح هذا الشِّعار الذي يمتلك أهميَّة خاصَّة، وتقضي الضَّـرورة بالجـدِّ والاجتهاد في تفعيلـه واستثماره؛ لإنقاذ الوضع الخُلُقـي من حالة التَّدهور والانحـدار التي يعمل عليها الظَّالمون في الأرض، وسفلـةُ الخلق، وتفتك بالغافلين والغافلات في مجتمعات الأمَّة المسلمة الكريمة.[٧٤]

٧٣. فليجنْد كل واحد منَّا نفسه في خوض هذه المعركة ضدَ الغزو غير الأخلاقي، ضد الزحف المجنون العاتي الآتي من الخارج والمدعوم من الداخل في كثير من البلدان العربية والإسلامية والمستهدف لأخلاق أمتنا العظيمة الكريمة (هتاف جموع المصلين ب: لبيك يا إسلام).

٧٤. خطبة الجمعة (٣٨٩) ٢٤ ذو القعدة ١٤٣٠هـ - ١٣ نوفمبر٢٠٠٩م.

www.Olamaa.net

إنَّنا قادرون على مواجهة هذا الغزو المدمِّر متى ما توفَّرت الرُّؤية الواضحة، والبرنامج الشَّامل المتكامل، والإرادة القويَّة والعزيمة الصُّلبة، ومتى ما تحرَّكْنا جميعًا كخطٍّ واحد منسجم متعاون، يعمل فيه الجميع - من خلال برامج متنوِّعة، منسجمة، هادفة - على تثبيت وتنمية عوامل التَّحصين والحماية داخل الأمَّة، ويعالج مختلف قضايا الانحراف والفساد في مهدها؛ حتى لا تتضخَّم وتكبر .

سماحة آية الله
الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)

نرحب بتواصلكم معنا، وبكل ملاحظاتكم واقتراحاتكم:
مبنى ٤٠ ، طريق ٤٨ ، مجمع ٤٤٤ ، هاتف: ١٧٥٩٢٦٧٢ فاكس: ١٧٥٩٦٥٤٠ ، الإدارة النسويّة : تليفاكس: ١٧٥٩٢٦٧٣
حلة العبد الصالح ، مملكة البحرين - الموقع الإلكتروني: www.olamaa.net البريد الإلكتروني: info@olamaa.net